

كلية الاداب واللغات
قسم اللغة العربية

التخصص: لسانيات عامة
العنوان:

تجليات نظرية البلاغة عند الرُّماني في كتاب
النكت في إعجاز القرآن

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الدكتور: قدور بن نابي

إعداد الطالبة: سائلة صبيحة

لجنة المناقشة:

رئيسا

جامعة غليزان

1-1 / مختار بن وزغار

مشرفا ومقررا

جامعة غليزان

1-2 / قدور بن نابي

عضوا مناقشا

جامعة غليزان

1-3 / حورية كوريدات

السنة الجامعية:

1445 / 1446هـ

2024-2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

(سورة هود، الآية 88)

الإهداء

الحمد لله على سابغ لطفه، وواسع فضله وكرمه، الحمد لله على الآمال التي حجبها

عني، وعلى المرامي التي بكيتها فحال بيني وبينها، ثم أراني بلطفه ورحمته انها كانت

شر لي وخطل. الحمد لله أن لم يكلني الى قصور عقلي، ووقاني بحكمته بهذا المنع عوج رأبي وزلته.

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى والديّ، والله ماذقت لذة الإنجاز بعد فضل الله إلا بارتفاع أكفّ والديّ

الكرام الطاهرة بالدعاء، وسعيهم في تمهيد السبل حتى أبلغ آمالي، أحاطوا بي بخافقهم في أوقات شجاي ربتوا على

عاتقي المثلث، زرعوا بداخلي حقلا مبهرا من الود فأجدني عند كل نكبة أقتطف منه بتلة ود تتنعم بها نفسي فأنسى

الأسى وأسرّ بأثرها الطيب ... اللهم اجزهم عني خير جزاء وارزقني شكر نعمتك علي، ببرهم وأكرمني برضاهم.

وإلى من شدّ الله بهم عضدي فكانوا خير معين: إخوتي أعز الله شأنهم وأنزلهم مفارق المجد.

سائلة صبيحة

الشكر والعرفان

أشهدُ منة الله في كل مرّة يلهمني أن الكبوة مسوغ للنهوض، وأن المسير آية

الوصول، وأن لأواء الطريق أمانة سمو، وأن السقوط مدرّبة على التجاوز. لذا كلّما أمسيتُ

ذابلة؛ أُراني أُورقُ -بفضله!- فالحمد والشكر لله على نعمه

هذا موسمٌ من مواسم البهجات والله؛ فلو لم يكن لنا نصيبٌ طيبٌ من الدنيا إلّا كلّ خطوة

صادقة جاءت نحونا تسعى من أقاصي الدنيا بدعاءٍ رؤوم، ومبادراتٍ نفعها يجلل الروح ويدوم؛ لكفانا وأوانا أن

نُذكر بخيرٍ في الأرض والسّماء.

أتقدم بخالص الشكر والامتنان لوالدي وإخوتي، كل يوم يزداد إيماني بهم وأنهم الظل والجناح والأرض الثابتة،

كل عافية تجري عليهم لطف يتدارك الله به ضعفي، اللهمّ أكرمهم واكسهم حُلل الرضا والعافية والحمد لله على

كل قلب نبيل يخلّق حولنا، الحمد لله حمد الشاكرين.

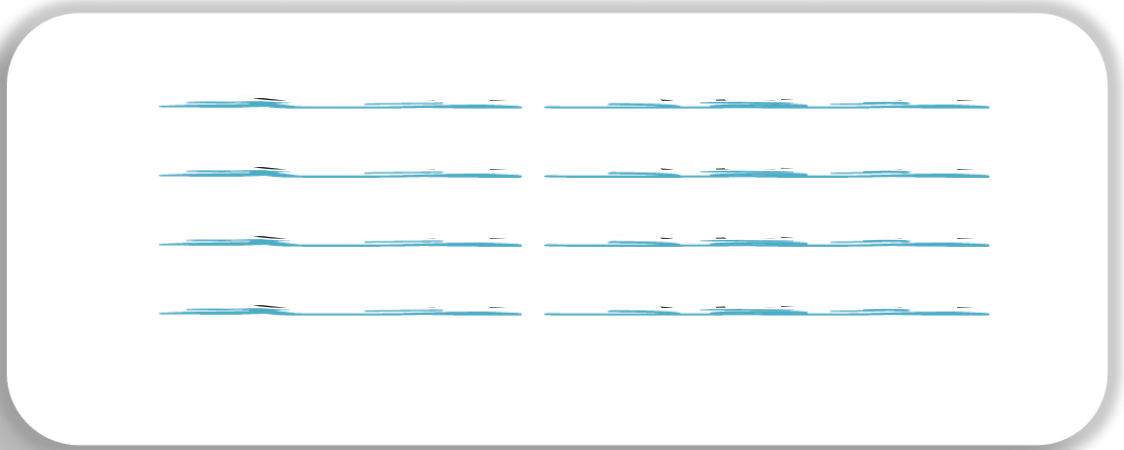
قلة يبقى أثرهم الطيب بالنفوس لحسن تعاملهم، منهم الأستاذ المشرف قدور بن نابي، لي عظيم الشرف أن

أتقدم له بالشكر الجزيل والامتنان، على مرافقته لي خطوة بخطوة، حفني بالنصائح والتوجيهات وكان خير معين،

بمثابة الوالد الذي يُسرّج لذريته جواد المجد، ويمهد لهم سبل المعالي، ونحن أحوج ما نحتاج لأساتذة مثله يحركون

الأفهام من السفاسف إلى سدرة المعالي والفضائل. رفع الله قدره وظلل أيامه بسماء العافية، وجزاه خيرا عن

طلابه وكل من بذر فيهم بذرة العلم والأدب.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين منه العون وعليه التكلاان، والصلاة والسلام على أفصح الناس

منطقا، وأشرفهم لسانا، وأثبتهم جنانا، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، أئمة القول، وأساطين

البيان، ومن تبعهم بإحسان. أما بعد:

فإن أشرف العلوم وأكرمها هي التي تخدم كتاب الله الكريم، وسنة رسوله العظيم، أو التي تتعلق بأيّ جانب من جوانبهما.

وعلم البلاغة واحد من تلك العلوم الشريفة الكريمة، نشأ في رحاب كتب إعجاز القرآن وامتدّت فروعه لتؤتي ثمارها بجهود علماء أجلاء، عكفوا على إحاطة كتاب الله بعنايتهم روجا وعقلا وجوارح.

ومن المسلم به أن البلاغة بوصفها علما ذا قواعد وقوانين لم تكتمل دفعة واحدة، وإنما كانت شذرات متفرقة ولآلئ منثورة في دراسات متفرقة التقطها الغائصون في أعماقها، حتى بدت بأسقة الظلال وارفة الأفنان ممتدة الجذور.

فالبلاغة شأنها شأن العلوم الإسلامية الأخرى مرت بمراحل عدة حتى اكتمل نضجها، وأصبحت علما مستقلا بذاته، وقد عرف العرب بالفصاحة والبلاغة وحسن البيان، وبلغوا من ذلك منزلة سامية، أقر لهم القرآن بها ضمنيا، إذ تحداهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا وأذعنوا أمام تحديه، وأيقنوا أنه ليس بمقدور بشر مضاهاته، فلا بيان أبين من بيانه، ولا كلام أجمع من كلامه. فكانت معجزة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من جنس ما برعوا فيه حذقوه وتباهوا به.

وحسب العرب شرفا أن ينزل القرآن بلسانهم لا بلسان غيرهم، وكانوا أحق الناس بأن يبهرهم جمال لفظه ولطف معناه ومتانة نظمه، وهم رأس الخطابة والبلاغة والفصاحة وقول الشعر.

ومما حفلت به السيرة في هذا الشأن أنّ الوليد بن المغيرة، أحد أكثر السادة تقديرا لدى قريش، ومن أوسعها عيشا، لما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل: 90)، طلب إعادتها عليه، ثم قال لقومه

بني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما، ما هو بكلام إنس ولا بكلام جن، وإن له

لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلو. وهذه شهادة عدو لدود من قوم، معدنهم حسن البيان، ودينهم فصاحة القول وشأنهم بلاغة الخطاب. إذن هي شهادة من أهلها تدل على تمكنهم وقدرتهم على تمييز البليغ والأبلغ، وبخاصة قبيلة قريش التي كانت الحكم الذي ترضى حكومته ولا يرد قضاؤه، فقد جاء في الأغاني أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردوه منها كان مردودا. فلما سمعوا القرآن، ورأوا ما هو خارج عن تجبير ألفاظهم وجزالتها ومتانة تراكيبيهم وتماسكها مع وفرة المعنى ووضوح القصد أقروا بعجزهم أمام تحديه عن بلوغ شأوه.

ومن هنا، كان موضوع إعجاز القرآن الكريم من أكثر ما شغل بال الدارسين منذ فجر التأليف عند المسلمين عامة والعرب خاصة، فكثرت فيه البحوث والمصنفات، وتنوعت فيه الرؤى والأفكار، وخرجت بذلك جملة من أوجه الإعجاز وأنواعه، لعل من أهمها ما كان متعلقا باللغة.

ولعل من أول اللغويين الذين غاصوا في أعماق مسألة الإعجاز وسبقوا إلى استنباط أحكام من بلاغة القرآن أبو الحسين علي بن عيسى الرُّماني، الذي لم يُعط حقه في التأريخ والتنظير لعلوم البلاغة العربية. وهذا ما دفعني إلى اختياري كتابه النكت في إعجاز القرآن موضوعا لمذكرتي، فكان عنوانها: "تجليات نظرية البلاغة عند الرُّماني من خلال كتاب النكت في إعجاز القرآن".

وقد تأسست إشكالية هذا البحث من الأسئلة الآتية: ما المقصود بنظرية البلاغة؟ كيف نشأت البلاغة عند العرب؟ ومن هم أبرز روادها؟ ما معنى الإعجاز؟ وماهي وجوه الإعجاز التي جعلها الرُّماني محور رسالته، وبني عليها موضوعه وانشغاله؟

وأما فيما يخص هيكله البحث ارتأيت تفصيله كالتالي:

مقدمة، يليها مدخل تمهيدي: المعنون بنظرية البلاغة، تطرقت فيه إلى مفهوم البلاغة في

اللغة والاصطلاح وعند بعض العلماء البلاغيين، ونشأة علم البلاغة.

وتناول الفصل الأول: البحوث البلاغية، وتوزّع على مبحثين، تحدثت في المبحث الأول على مفهوم الإعجاز ونشأته. أمّا المبحث الآخر من هذا الفصل ذكرت فيه البحوث البلاغية قبل الرّماني.

فأما في الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي لهذه الدراسة قسمته إلى مبحثين قدمت في المبحث الأول لمحة عن حياة الرّماني وأهم إنجازاته، والمبحث الثاني عالجت فيه مضمون رسالة الرّماني.

أما الخاتمة فقد ضمّنتها أهمّ النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث بصورة موجزة، مختصرة، وفق ما اعتمد عليه الباحثون.

واعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره المنهج المناسب لإيفاء بمتطلبات الدراسة، حيث يتم دراسة أفكار الرّماني البلاغية من خلال تحليل نصوصه واستنباط الأسس التي اعتمدها في تفسير إعجاز القرآن الكريم. كما يمكن أن تتجه جوانب البحث إلى المنهج

التاريخي، وذلك عند تتبع تطور البلاغة قبل وفي عصر الرّماني، ومدى تأثيره في دراسات من بعده.

وقد تطلبت مني هذه الدراسة الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع

البحث وما حوله، منها: كتاب إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب مفتاح العلوم لأبي بكر السكاكي.

أمّا ما سبق هذا البحث من مدوّنات جامعية، فقد كان اعتماداً منها على مذكرة الماستر الموسومة بـ: تدريس المفاهيم البلاغية واثرها في تحليل النصوص في المرحلة الثانوية —دراسة للسنة الثالثة ثانوي تخصص آداب وفلسفة— للطالبة مخلوف إيمان خولة تحت إشراف الأستاذة جغام ليلي. ومذكرة أخرى

عنوانها: الاستعارة في ديوان أسرار الغربة لمصطفى محمد الغماري -مقاربة تداولية- من إعداد الطالبتين:
حسني وفاء وبسكري وفاء تحت إشراف الأستاذ بشار إبراهيم.

ومن أهم الأسباب والدواعي التي كان لها دور في اختيار دراسة هذا الموضوع:

شغفي بمادة البلاغة ورغبتي في التعمق فيها والإكثار من الاطلاع على أبوابها، وفي مقدمتها ما يتعلق بفهم النصوص القرآنية وإدراك معانيها. هذا، إضافة إلى الدخول في تذوق بيان كلام الله تعالى، مما يعزز الصلة بينه وبين المتلقين عامة، فينشأ من ذلك تعزيز الإيمان بعظمة القرآن. فكلما ازداد المؤمن تأملا في أسلوب القرآن وبلاغته، ازداد يقينا بأنه وحي من عند الله لا يمكن لبشر أن يأتي بمثله.

أما الصعاب، فلعلّ من أهمها قضية تشعب المصطلح وتعدد الآراء، فالبلاغة علم واسع، وقد تنوعت آراء العلماء في تفسير الأساليب البلاغية وتحديد وجوه الإعجاز، مما تطلب جهدا كبيرا في التمييز بين الأقوال والاختيار بينها.

وفي الأخير أشكر الله تعالى عدد خلقه ومداد كلماته، على توفيقه لي إلى إنجاز هذا البحث المتواضع، الذي أرجو أن أكون قد وفقت في بلوغ بعض غاياته.

مَدْخَل

مَدْخَل إِلَى نظرية البلاغة

- مَفْهُومُ الْبَلَاغَةِ
- التعريفات الاصطلاحية للبلاغة
- المسار التاريخي للنظرية البلاغية عِنْدَ الْعَرَبِ

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ لِكُلِّ دِرَاسَةٍ جُمْلَةً مِّنَ الْمَفَاهِيمِ الْعَامَّةِ، وَالَّتِي تَكُونُ عِبَارَةً عَنْ مَفَاتِيحٍ تُتِيحُ لِلْقَارِئِ النَّظَرَ مِنْ خِلَالِهَا بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ إِلَى مَا يَرْمِي إِلَيْهِ هَذَا الْعَمَلُ، لِذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ لَنَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ مِنْ تَقْصِي بَعْضِ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي تُخَصُّ نَظَرِيَّةَ الْبَلَاغَةِ.

مفهوم البلاغة:

لغة:

أخذت البلاغة مكانة رفيعة بين علوم اللغة وبرزت أهميتها من خلال القرآن الكريم حيث تجلت فيه صور فنيات البلاغة في اعجاز مبهر.

فإن عظمة هذا العلم في كشفه عن فصاحة القرآن وبلاغته، ووجوه اعجازه، وبلاغة من أوتي جوامع الكلم، وعن أساليب الشعراء وأرباب البيان، ورفيع الكلام وراقيعه، وجيده ووضيعة¹.

لفظ البلاغة من حيث صيغته، مصدر للفعل الثلاثي بلغ، بمعنى الوصول والانتهاء. يقال بلغ المسافر القاهرة أي وصل إليها. وبلغه الله غايته: أي أوصله إليها². فسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.

فالجذر (بلغ) يأتي بمعنى بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، وابلغه هو ابلاغاً وبلغه

¹ الحربي، البلاغة الميسرة، ط 2، 2011 م، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 08 ص.

² عبده طلبة محمد، الدهشان محمد رزق، المرشد في علوم البلاغة، ط 2، مصر، 6 ص.

تبليغا، وقول ابي قيس بن الاسلت: ¹

قالت، ولم تقصد لقليل الحنا مهلا! فقد ابلغت اسماعي.

انما هو من ذلك اي قد انتهيت فيه وانعمت. وتبلغ بالشيء، وصل الى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبالغته. في حديث الاستشفاء: واعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين، البلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب. والبلاغ: ما بلغك. والبلاغ: الكفاية. ومنه قول الراجز:

تزج من دنياك بالبلاغ وياكر المعدة بالدباغ.

وتقول له: في هذا بلاغ وبلغة وتبلغ اي كفاية، وبلغت الرسالة والبلاغ: الابلاغ. وفي التنزيل العزيز: «الا بلاغا من الله ورسالاته»، اي لا أحد منجى الا ان ابلاغ عن الله ما ارسلت به، والبلاغ، الايصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ، وبلغت الرسالة. التهذيب: يقال بلغت القوم بلاغا اسم يقوم مقام التبليغ.²

جاء في "معجم العين" مادة "بلغ" بمعنى رجل بلغ بليغ، وقد بلغ الشيء يبلغ بلوغا وكذا بلاغ وتبليغ، اي كفاية³.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ط 3، 1999م، بيروت، 487 ص.

² ابن منظور، لسان العرب، ط 3، 1999م، بيروت، 487 ص.

³ الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، ط 1، 2003 م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 161 ص.

اما ابن فارس فذكر في معجمه بلغ الباء واللام والغين، أصل واحد وهو الوصول الى الشيء تقول بلغت المكان، إذا وصلت اليه. وكذلك البلاغة التي يمدح بها فصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يريد¹. فمن خلال هاته الدلائل اللغوية نلاحظ بانها تتمحور حول معنى الوصول ففي الاخير نجد ان المعنى اللغوي العام للبلاغة تنصب دلالاته في وصول الشيء الى غايته ونهايته.

التعريفات الاصطلاحية للبلاغة:

تعددت تعريفات البلاغة، واختلفت من عصر لآخر، ومن باحث لآخر، وفيما يلي تعريفات بعض البلاغيين القدماء.

يقول الجاحظ " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه الى سمعك اسبق من معناه الى قلبك "² فاشتراط القدر المتساوي بين اللفظ والمعنى، وهذا يقتضي من المتكلم مراعاة توازن المعاني والالفاظ في كلام.

ويذكر الجاحظ ان صديقا له حدثه انه سال العنابي، وهو كلثوم بن عمرو: ما البلاغة؟ قال:

«كل من افهمك حاجته من غير اعادة، ولا حبسة، ولا استعانة فهو بليغ».³ والمقصود هنا ان البلاغة تكمن في الوضوح والبساطة والايجاز، بحيث يصل المعنى الى المتلقي مباشرة دون لبس او غموض.

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، م 1، دار الجيل، بيروت، 301 ص.

² الجاحظ، البيان والتبيين، ط 1، ج 1، 1397 هـ - 1948 م، مطبعة اللجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 115 ص.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ط 2، 2010 م، دار القدس العربي الجزائر، ص 26.

البلاغة في رأي صحار بن عياش هي: «شيء يجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا»¹.

أي انها حالة تنبع من الداخل من المشاعر والافكار التي تمتلئ بها الصدور، ثم تتحول إلى كلمات يتلفظ بها اللسان لتعبر عما يجيش في القلب والعقل.

عرف العسكري البلاغة بانها بلوغ المعنى قلب السامع، فقال: " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسه، مع صورة مقبولة ومعرض حسن "² اي وصول المعنى الى السامع بالقدر الذي يقصده المتكلم في نسق لغوي مقبول.

البلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، فلهذا لا يجوز ان يسمى الله جل وعز بانه بليغ، اذ لا يجوز ان يوصف بصفة كان موضوعها الكلام، وتسميتنا المتكلم بانه بليغ توسع. وحقيقته ام كلامه بليغ، كما نقول: فلان رجل محكم، وتعني ان افعاله محكمة، قال الله تعالى: «حكمة بالغة»، فجعل البلاغة من صفة الحكمة، ولم يجعلها من صفة الحكيم³.

وعرف البلاغة عمرو بن عبيد فقال: «فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام»⁴. أي اختيار الالفاظ بدقة وعناية لتكون وسيلة فعالة في تحقيق حسن الافهام، أي ايصال المعنى المطلوب بوضوح وإيجاز دون

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ط 1، ج 1، 1397 هـ - 1948 م، مطبعة اللجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 96 ص

² أبو هلال العسكري، الصناعتين، ط 2، دار الفكر العربي، 16 ص.

³ المرجع نفسه، ص 12.

⁴ احمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج 4، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، 211 ص.

تعقيد او غموض فكأن من يخاطب بهذه الطريقة يجتهد في انتقاء الكلمات التي تخدم المعنى بأفضل صورة ممكنة، دون افراط او تفريط.

ثم اضاف إلى ذلك معنى دينيا، بقوله: « إنك إذا أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين. وتخفيف المؤونة على المستمعين. وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين. بالألفاظ المستحسنة في الأذان. المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة

على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب؛ واستحققت على الله جزيل الثواب».

لعلّ أبلغ تعريف وأوجزه هو ما عرّف به الأصمعي البلاغة، فقال: «من طبق المفصل، أغناه عن المفسر»¹. هذا التعريف يبرز أهمية الوضوح والايجاز في البلاغة، حيث يكمن جمالها في ايصال المعاني بعبارات مختصرة وواضحة تغني عن أي تعقيد او اطالة.

إلا أن الخفاجي لم يُعرّف البلاغة تعريفاً دقيقاً. لاضطراب حدّها عند القوم. وقال في الفرق بينها وبين الفصاحة: «إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ. والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني»².

ونجد الجاحظ يعجب اعجابا كبيرا بتعريف ابن المقفع للبلاغة حين ذكر انها «اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ط 1، ج 1، 1397 هـ - 1948 م، مطبعة اللجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 107 ص.

² انعام فؤال العكاري، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 268.

في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون

سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل...»¹. فابن المقفع قد اكتفى بإيراد صفات البلاغة المتمثلة في الإيجاز ومراعاة المقام.

يعرف الرُّماني البلاغة ويقول: "البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"²، فالبلاغة إذن تعني توصيل المعنى وتمكينه في قلوب المتلقين عن طريق إلباسه الصورة الجميلة من اللفظ الذي يفتن الألباب.

وعرف القزويني بلاغة المتكلم فقال: «وأمّا بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ؛ بينما البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره». وقسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وهذا ما اعتمده علماء البلاغة وتعارفوا عليه³.

البلاغة عند السكاكي هي: "بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"⁴.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ط2، 2010م، دار القدس العربي الجزائر، ص 26.

² محمد احمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، 2003 م، ص 254.

³ انعام فؤال العكاري، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 268.

⁴ السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ص 415.

من خلال ما تقدّم من تعريفات نلاحظ أن جميعها تُؤكّد على أن البلاغة هي إيصال المعنى المراد إيصاله إلى السامع، وكذلك باستعمال أسلوب عذب وراقي. مع مراعاة مقتضى الحال وأحوال السامعين.

تاريخ علم البلاغة عند العرب:

قبل نزول القرآن الكريم، وفي العصر الإسلامي الأول؛ كانت الملحوظات البلاغية كلها خاضعة للذوق، مع اهتمام لبعض القواعد التي من شأنها أن يعلل بها جودة القول، أو ركاكته.

ثم نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين متوجا فصاحة العرب، مبرهنا علة بلاغتهم التي لا تبارى، فكان القرآن متحديا هذه الفصاحة الكاملة، وتلك البلاغة التامة.

وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تعد في الطبقة العليا من أساليب العرب، فقد كان صلى الله عليه وسلم أفصحهم، والصحابة يتعجبون لفصاحته، ولا يرون من هو أفصح منه.

والصحابة أيضا كانوا على علم وافر بأسرار العربية، ودقة احساسها، وروعة نطقها.

ولم تكن هذه الفصاحة مقصورة على الصحابة وحدهم، بل كانت تشمل انحاء الجزيرة العربية، وان كانت القبيلة تتفوق على غيرها بشيء من الفصاحة، والرجل يبرز غيره بما وهب من قريحة وقادة وذهن لطيف.

ولا شك أن القرآن الكريم قد أثر تأثيرا بالغا في نشأة البلاغة، فقد عكف العلماء على دراسة

القرآن والبحث في سر اعجازه، فقالوا: «إن أحق العلوم بالتعلم هو غلم البلاغة ومعرفة

الفصاحة، والانسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن، من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التراكيب، وما شحنه به من إيجاز وبديع».

وكان تأثير القرآن واضحا في اتخاذه مدارا للدراسات البلاغية، واتخاذ آياته البينات شواهد على ابواب البلاغة وموضوعاتها، واعتبارها مثالا يحتذى في جمال النظم ودقة التركيب.

فللبلاغة اعلاما لهم شان كبير، ومكانة سامية في تاريخ البلاغة العربية، وكتبهم تعد منجما لما اودعوه فيها من فكر ثاقب، واستقصاء يقلب المسائل البلاغية في كل اتجاه، ليس دونه شيء او بعده شيء كـ أبو عبيدة الذي وضع كتاب «مجاز القرآن»، وهو وان كانت عنايته لغوية، فلقد كانت له بعض الملحوظات البيانية، فذكر في هذا الكتاب الطرق التي كانت تستعملها العرب في اساليبها، وبيان ما فيها من جمال فني ودقة في التعبير¹.

ثم جاء الجاحظ، فكان له فضل، حيث اتسعت بفضلله دائرة هذه الملحوظات البيانية، وذلك بما من الله عليه من قريحة وذهن وذكاء، وبما كان له من سعة في الثقافة والاطلاع، فلقد كان بحق غزير الثقافة، واسع المعرفة².

فقد ذكر من المسائل البلاغية حين ايراده لمسالة عدم امكانية ترجمة القرآن الكريم او اي كلام عربي بليغ وذلك لأنه يكون على ضربين، الاول: المعاني الاصلية وهي التي تتوفر في اي لغة وتجاوز

¹ احمد المراغي، تاريخ علوم البلاغة، ط1، 1950م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص 10.

² فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وافنائها، ط1، 1985م، دار الفرقان، ص 71.

ترجمتها، والثاني: الصورة التي تحدثها الالفاظ عندما تتناسق دلالتها على الوجه الذي يقتضيه

العقل ويسميتها الامام الشاطبي الدلالة التابعة، وهي التي تتحقق فيها البلاغة وتتمثل فيها خصائص اللغة العربية وهي مالا يمكن ترجمته، ومثل لذلك بالإخبار الذي يدخل فيه السياق، فان كل خبر يقتضي امورا خادمة لذلك الاخبار بحسب المخبر والمخبر عنه، والمخبر به، ونفس الاخبار في

الحال ونوع الاسلوب من الايضاح والاختفاء، والايجاز والاطناب، وقد تعرض لهذه المسائل في كتابه " البيان و التبيين ": الايجاز وعرفه بنوعيه (ايجاز الحذف، وايجاز القصر) الاطناب، الفصل والوصل، المجاز العقلي والمجاز اللغوي، التصغير وذكر له اغراضا، التغليب، التشبيه، الاستعارة، الكناية، حسن التقسيم، الغلو، الارصاد، المذهب الكلامي، اسلوب التحكيم، السجع، المزدوج، حسن الابتداءات، الاقتباس.

ثم جاء ابن قتيبة، وهو إن لم يبلغ مرتبة الجاحظ من حيث تسجيل الملحوظات، والغوص على النقاط المعاني، فإنه فاقه من حيث النسق في الترتيب، وحسن التبويب، مع سعة في العلم، فلقد كان بحق دائرة المعارف، يدلنا على ذلك هذا التراث المترامي الأطراف، الذي خطه براءه؛ والذي يدل على كثرة اطلاعه، وطول باعه. فوضع كتاب "تأويل مشكل القرآن " لابن قتيبة تحدث في هذا الكتاب عن المجاز ذاهبا الى ان " للعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول وماأخذه"¹ وذكر من هذه المجازات كلا من الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والاختفاء، والظهار،

¹ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ط2، 1973م، المكتبة دار التراث، القاهرة، ص 20.

التعريض والافصاح، وغيرها من ابواب البلاغة.

كتاب " معاني القرآن " للفراء هو كتاب في تفسير القرآن واعراب ما أشكل اعرابه، وتوجيه الاعراب في خدمة المعاني، ومن اجل ذلك اشرب تفسيره بكثير من البحوث البلاغية. يمثل الكتاب ذروة النضج عند الفراء لأنه امله سنة 204 هـ اي قبل وفاته بأعوام.

فقد تحدث فيه بشكل خاص عن الحذف الذي قاده الى الكلام على الايجاز. وكما قيل الحذف والايجاز قيل كذلك الزيادة ولو عارض في ذلك موقف المتزمتين الذين ينكرون اي زيادة في النص القرآني. وتوقف عند ضروب التكرار والفائدة الدلالية والبلاغية منه. كما تناول فن التعريض في مواضع متفرقة وقد وجد فيه بعدا عن المباشرة ومخاطبة لذكاء المتلقي وفطنته. واستوقفه ما يسمى بالفواصل القرآنية فدرس موسيقاها ونغمية الايقاع فيها.

نكتفي بذكر هذه القضايا البلاغية التي عرضها الفراء في كتابه لأنها كافية للتدليل على علاقة البلاغة بالدراسات القرآنية¹.

ثم جاء قدامة، فزاد على ما ذكره ابن المعتز من أنواع البديع.

ومن بعد قدامة، أخذت الدراسات البيانية في اتجاهين متقابلين، كان الاتجاه الاول خاصا ببحوث إعجاز القرآن، ومن أبرز الذين نهجوا هذا النهج، وحفظت لنا الأيام جهدهم المشكور؛ الرُّماني في

¹ محمد محمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديقة للكتاب، طرابلس - لبنان، ص 17.

رسالته: «النكت في إعجاز القرآن»، حيث يقرر ان القرآن معجز بألفاظه واسلوبه ونظمه، وأثره في النفوس.

فتوقف لدى عشرة مفاهيم بلاغية في كتابه «النكت في إعجاز القرآن» وفسرها بابا بابا على ترتيبها تفسيرا وافيا شافيا، تم التطبيق عليها في معالجة المسألة الاعجازية، وهي¹:

1- باب الإيجاز.

2- باب التشبيه.

3- باب الاستعارة.

4- باب التلاؤم.

5- باب الفواصل.

6- باب التجانس.

7- باب التصريف.

8- باب التضمن.

9- باب المبالغة .

10- باب البيان.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ط 2، 2010م، دار القدس العربي، ص 33.

والخطابي صاحب كتاب "بيان اعجاز القرآن" بنى كتابه على طريقة النظم حين ذهب فيه الى ان الكلام¹ "انما يقوم بهذه الاشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. و اذا تأملت القرآن وجدت هذه الامور منه في غاية الشرف و الفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الالفاظ افصح ولا اجزل و لا اعذب من الفاظه، و لا ترى نظماً احسن تأليفاً، و اشد تلاؤماً و تشاكلاً من نظمه".

وتحدث بإسهاب عن فصاحة الكلمة لأنها في نظره جزء من فصاحة الكلام وبلاغته وحسن النظم ووصف الكلمة بالفصاحة والجزالة البعيدة عن الغرابة ولان البلاغة في نظره لا تعباً بالغرابة. والباقلاني في كتاب "اعجاز القرآن" من ركائز اعجاز القرآن عنده براعة النظم المتمثلة في:

- مخالفته في الشكل والقالب ما عهد عن العرب في كلامهما. ولهذا عقد لنفي وجود

الشعر والسجع في القرآن الكريم فصلين كاملين في كتابه.

- آيات القرآن في سورة في سورة جميعاً اعلى فصاحة وبلاغة من كلام العرب، وهي تنتقل بين

ايجاز واطناب واقتصار، وبين صور مختلفة من الحقيقة والمجاز والاستعارة. ولهذا عقد فصلاً للبديع اثبت فيه ان ضروب البديع الرائع عند العرب مقصورة عن بلوغ ضروبه الواردة في محكم آياته. فلقد ذهب الى القول²: "... والوجوه التي نقول ان اعجاز القرآن يمكن ان يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له، والتوصل اليه بحال".

¹ محمد محمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديقة للكتاب، طرابلس - لبنان، ص 19.

² الباقلاني، اعجاز القرآن، تح السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ص 77.

ومن الموضوعات البلاغية التي تحدث عنها بإسهاب نذكر: السجع والترصيع، والتشبيه، والاستعارة،

المماثلة، والكناية، والايجاز، والاطناب، والحقيقة، والمجاز، ... اختار الباقلائي النظم طريقا

للإعجاز، ونظمه مختلف عن سجع الكهان والعرب، وعن خطبهم. وكلامه خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصيغة المتكلفة.

وجاء القاضي عبد الجبار بـ "كتاب اعجاز القرآن" أحد اجزاء كتابه الكبير (المغني في ابواب

التوحيد والعدل). والقاضي معاصر للباقلاني وكتابه يحمل التسمية نفسها التي أطلقها الباقلائي على

كتابه، غير ان القاضي تطرق في كتابه لموضوعات لم يتناولها الباقلائي. تعرض القاضي في كتابه للفصاحة

مبيناً اسرارها واسبابها، ووجد انها تقوم على ركيزتين هما:

- جزالة اللفظ.

- حسن المعنى.

ولكنه خلص الى ان النظم وحده يظهر ذلك. ولهذا ذهب الى القول: " فلا معتبر في الفصاحة يقصر

الكلام وطوله وبسطه واجازه لان كل ضرب من ذلك ربما كان ادخل في الفصاحة في بعض المواضع

من صاحبه " وكأنه يريد ان يثبت صحة القاعدة البلاغية القائلة لكل مقام مقال.

ومن ابواب البلاغة التي تحدث عنها القاضي نذكر كلا من: التكرار وانواعه، والتطويل والايجاز، ولم يعد

التطويل عيباً بالمطلق، ولا الايجاز مزية مطلوبة بالمطلق لأنه يقول: " هو انما يعد التطويل عيباً في المواضع

التي يمكن الإيجاز، ويغني عن التطويل فيها. ويغني عن التطويل فيها. فأما إذا كان الإيجاز متعذراً أو ممكناً ولا يقع به المعنى، ولا يسد مسد التطويل، فالتطويل هو الأبلغ في الفصاحة¹.

أما الاتجاه الثاني؛ فكان عن البيان بعمامة، ولم يقصروه على البحث في الإعجاز، ومن أبرز كتب هذا الاتجاه كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري، ويعني بهما صناعة الشعر وصناعة النثر، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» للجرجاني، والموازنة بين الطائيين، أبي تمام والبحري للآمدي، وكتاب «الشعر» لابن طباطبا، و«سر الفصاحة» لابن سنان الخفاجي، و«المثل السائر» لابن الأثير في القرن الخامس الهجري.

والى هنا لم تكن للبلاغة هذه الأدوار والأقسام التي نعرفها الآن، وإنما كانت البلاغة، والبديع، والبيان، البراعة، والفصاحة؛ كلها تعني شيئاً واحداً.

وجاء عبد القاهر فوضع كتابيه «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة»، فكان فتحاً جديداً، فلقد استطاع الشيخ -رحمه الله- أن يضع نظرية متكاملة للبيان للبلاغة العربية، فتحدث في «الدلائل» عن النظم، وهو الذي كان أساساً فيما بعد لعلم المعاني، وتحدث في «الأسرار» عن بعض الموضوعات، كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، وهو ما عرف فيما بعد بعلم البيان، ولكن عبد القاهر لم يجعل لكل علم من العلمين دائرة خاصة به. فهو امام مجتهد وما كتبه سوف يبقى سراجاً منيراً لكل من يسر الله له الاخلاص والهمة والسعي في طلب الكشف عن البلاغة واسرارها².

¹ محمد احمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديقة للكتاب، طرابلس - لبنان، ص 20.

² محمد خل الله، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، دار المعارف مصر، ط 3، ص 12.

وجاء الزمخشري بعد عبد القاهر يطبق نظريته تطبيقاً علمياً في «تفسير الكشاف»، مع بعض الزيادات التي تدل على علو همته، وجودة قريحته، ولعله أول من أشار إلى التفرقة بين علم المعاني والبيان، وإن كان لم يضع لكل منهما حداً فاصلاً، مع ما لكل منهما من موضوعات خاصة به، وإلى هنا كانت البلاغة صافية النبع، عربية الترتيب والوضع.

وجاء السكاكي فوضع كتابه «مفتاح العلوم»، وهو أول من فصل موضوعات كل من علم المعاني والبيان على حدة، وجعل كثيراً من أنواع البديع التي عُرِفَت فيما بعد تابعة لعلم المعاني، ولم يُجعل علم البديع علماً خاصاً قسماً لعلمي المعاني والبيان. فتحدث في كتابه هذا على الكناية، والاستعارة، التشبيه، المجاز...¹، إلى أن جاء بدر الدين بن مالك، واختصر «مفتاح» السكاكي، وهو ابن صاحب الألفية المعروفة بـ «ألفية ابن مالك» وقد اختصر «مفتاح» السكاكي، وهو أول من قسم البلاغة إلى أقسامها المعروفة الآن: البيان، والمعاني، والبديع.

وجاء القزويني فليخص «مفتاح» السكاكي، وأصبحت البلاغة مختصرات، وصار كتاب «التلخيص» فيما بعد المحور الذي يدور حوله الكاتبون، وانبرى العلماء لكتاب «التلخيص»، يلخصونه أو يشرحونه، فشرحه ابن السبكي شرحاً مزج فيه بين البلاغة، وعلم الكلام، وأصول الفقه، والنحو، المنطق، والفلسفة.

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 415.

من أشهر شراحه سعد الدين التفتازاني، فلقد شرحه شرحين سَمَّى أحدهما «المختصر»، والآخر «المطول».

ولا ننسى أن نذكر هنا أن القزويني نفسه صاحب «التلخيص» قد وضع كتاباً كالشرح

لـ «تلخيصه»، سماه «الإيضاح».

ثم شرحه عصام الإسفراييني شرحاً سماه «الأطول»، قابل به شرح التفتازاني الذي سماه «المطول».

وقد جمع شرح السعد المختصر، وعليه حاشية للدسوقي، مع شرح ابن السبكي المسمى «عروس الأفراح»، وشرح ابن يعقوب المغربي المسمى «مواهب المفتاح»، مع إيضاح القزويني الذي وضع كالشرح لـ «تلخيصه»؛ جُمعت هذه كلها، فطُبعت في كتاب واحد، وسمي «شروح التلخيص».

رغم أن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ثار على هذه الطريقة؛ طريقة تدريس البلاغة على هذا الشكل، وهو الذي يرجع إليه الفضل في إحياء كتابي عبد القاهر «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة» من جديد، فإن هذه الأرجوزات وتلك الشروح بقيت تدرس إلى وقت قريب.

ومن الحق أن نقرر أن الأستاذ الإمام كان له الفضل في تجديد دراسة البلاغة العربية، وكان من نتيجة هذا أن وضع الأديب المرحوم عبد الرحمن البرقوقي تعليقات على متن «التلخيص»، كما وضعت كتب لتحل محل الكتب القديمة، من ذلك ما وضعه المرحوم حفني ناصف في البلاغة ضمن كتابه «قواعد اللغة العربية»، والأستاذ الهاشمي - رحمه الله - كتابه «جواهر البلاغة»، ثم وضع الأستاذ أحمد

مصطفى المراغي كتابه «علوم البلاغة»، كما كتب الأستاذ علي الجارم على منوال كتابه «النحو الواضح» «البلاغة الواضحة» لطلاب المدارس الثانوية أكثر فيها من الامثلة¹.

وهكذا بدأت الدراسات البلاغية تتعدد وتنوع، فهناك من يؤرخ للبلاغة، وهناك من يقارن بينها وبين بلاغة الأمم الأخرى، وهناك من يدافع عنها وينتصر لها أمام الهجمة الشرسة من المتطفلين عليها والداعين لنبذها، وهناك من يحاول أن ييسر موضوعاتها.

¹ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وافنائها، ط1، 1985م، دار الفرقان، ص 71.

الفصل الأول

الفصل الأول

البحوث البلاغية

مفهوم الإعجاز في القرآن

- في اللغة

- في الاصطلاح

نشأة الإعجاز في القرآن

البحوث البلاغية قبل الرُّماني

إن القرآن الكريم هو كلام الله ووحيه، ومعجزة الإسلام الخالدة، أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين لتأييد رسالته، وهداية العالمين.

لقد شغلت مواضيعه الكثير من الدارسين منذ القدم، بحيث اهتموا بها وألفوا فيها مصنفات كثيرة، فكان موضوع الإعجاز أحد أهم تلك العلوم التي اهتموا بها، وخصوها بالنظر والعلم والتفقه. وقد لا نجد عالماً من العلماء أو مؤلفاً من المؤلفين في اللغة والأدب إلا وقد وطن قضايا الإعجاز فيما دعا وألف. ولنا أن تأتي في موروثنا العربي ببعض الكتب والمعاجم والدراسات التي ذكرت مصطلح الإعجاز في اللغة والاصطلاح، ثم ما ذكر بعض أعلام هذا المصطلح في مصنفاتهم ومؤلفاتهم.

1. التعريف بمعنى إعجاز القرآن:

1.1. الإعجاز لغة:

يعود لفظ الإعجاز في اللغة إلى العَجَز، فالعين والجيم والسين أصل صحيح واحد. ومعنى العَجَز: الضَّعْفُ¹، والإعجاز إفعال من العَجَز²، ويعني ما يلي:

- الضعف: عَجَزَ عن الشيء عَجْزاً ضَعُفَ عَنْهُ، وَعَجَزَ عَجْزاً من بابِ تَعَبَ.
- نقيض الحزم: عَجَزَ فلانٌ رأيَ فلانٍ إذا نَسَبَهُ إلى خلافِ الحزم كأنه، نَسَبَهُ إلى العَجَز.
- التشييط: فَالتَّعْجِيزُ: التَّشْيِيطُ. يقال: ثَبَّطَهُ على الأمر فَتَثَبَّطَ: وَقَفَّه عليه فَتَوَقَّفَ.

¹ الفيومي، المصباح المنير، مادة (ثبط) ج2، ص 393.

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص 547.

- الفَوْتُ والسَّبَقُ، يقال: أعجَزَني فلان، إذا عَجَزَتْ عَنْ طلبه وإدراكه، وَعَجَزَ الرجلُ وعَاجَزَ:

ذهب فلم يوصل إليه.

- زوال القدرة عن الإتيان بالشيء، من عمل، أو رأي، أو تدبير¹.

- مؤخرة الشيء عَجَزُ الشَّيْءِ وَعِجْزُهُ وَعُجْزُهُ وَعَجْزُهُ: آخِرُهُ. وقال أكثم بن

صيفي لابنه: لا تُدَبِّرُوا أعجازَ أمورٍ قد وَلَّتْ صُدُورُهَا، جمع عجز وهو مؤخر الشيء، يريد بها أواخر الأمور وصدورها².

- وقال الراغب (ت: 502هـ): والعَجْزُ أصلُهُ التَّأَخُّرُ عن الشيء، وحصوله عند عَجْزِ

الأمر، أي: مؤخِّره، كما ذكر في الدِّبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة³.

وهكذا نخلص إلى إن الإعجاز في اللغة التأخر، وزوال القدرة عن أداء الشيء أو إدراكه.

¹ الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، ط3، ص 65.

² مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج15، مطبعة حكومة الكويت، ص 199.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص 547.

2.1. الإعجاز في الاصطلاح:

لا يخرج معنى الإعجاز في الاصطلاح عن معناه في اللغة، وهذا ما يلحظ عند النظر فيمن عرّفوا الإعجاز في مصنفاتهم، قال المناوي (1031هـ) في تعريف الإعجاز: وصار في التعارف اسماً للقصور. عن فعل الشيء وهو ضد القدرة¹.

وقيده الجرجاني (ت: 816هـ)، بالإعجاز في الكلام فقال: الإعجاز في الكلام بأن يؤدّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق².

وعرفه المرتضى الزبيدي (ت: 1205هـ) بقوله: وحقيقة الإعجاز: إثبات العجز، فاستعير لإظهاره، ثم أسند مجازاً إلى ما هو سبب العجز ثم جعل اسماً له، فقليل: معجزة والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في الحقيقة، أو المبالغة كما في العلامة.

وقد تأثر تعريف الإعجاز بالمنطلقات العقديّة عند عدد من الفرق الإسلامية فقيده الباقلاني (ت: 403هـ) بقدرة الله تعالى فقال: والمعجز لا يكون عندنا معجزاً حتى يكون مما ينفرد الله عز وجل بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدر الخلق من الملائكة والبشر والجن، وقال: المراد بهذا الإطلاق أنه مما لا يدخل تحت قدر العباد لامتناع كونه مقدوراً لهم واستحالة وقوعه منهم لا لعجزهم عنه ومنعهم

¹ المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ص236.

² الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ص31.

منه. وعرفه الجويني (ت: 419هـ) بأنه الإنباء عن امتناع المعارضة من غير تعرض لوجود العجز الذي هو ضد القدرة.

هذا القول مبني على أن المعجزة لا تكون إلا مقدورة للرب، لا للعباد، وهو قول الأشاعرة وكثير من أهل الكلام من القدرية، والمثبتة للقدر، وغيرهم، وذلك بناء على مقدمات عندهم¹.

3.1. الإعجاز في القرآن:

ورد لفظ الإعجاز في القرآن ستا وعشرين مرة في ست صيغ وهي: (عَجَزَ، تُعَجِّزُ، معَاجِزُ، مُعَجِّزٌ، أعْجَازُ، وعَجُوزُ)، وكلها وردت بمعان لا تخرج عن المعنى اللغوي وذلك كما يلي:

1- الضعف وانتفاء القدرة عن الإتيان بالشيء: من عمل أو رأي أو تدبير. ودل

عليها لفظ: عجز وعجوز، قال تعالى حكاية عن ابن آدم: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾²، أي: ضعف رأيه وزوال عن معرفة كيف يواري سوءة أخيه³، وقال تعالى:

¹ ابن تيمية، النبوات، ط1، مكتبة أضواء السلف، ص 217.

² سورة المائدة، الآية 31.

³ الطبري، جامع البيان، ج10، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ص 224.

﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾¹، ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾²، وَالْعَجُوزُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِعَجْزِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ³.

2- الفوت والسبق: قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾⁴،

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِثْمَهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾⁵، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾⁶، ومعنى يسبقونا: يعجزونا. أي: يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله⁷؛ ولذلك أيقن الجن أن عقاب الله لا يفلت منه أحد استحققه بعد أن سمعوا القرآن وآمنوا به قال تعالى: ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾⁸، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾⁹، فما أنتم بمفلتين من عذاب الله؛ لأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

3- التشبیط: ودل عليه لفظ معاجز، وتعني الإبطال قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي

¹ سورة هود، الآية 76.

² سورة الذاريات، الآية 29.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص 548.

⁴ سورة النور، الآية 57.

⁵ سورة الأنفال، الآية 59.

⁶ سورة العنكبوت، الآية 4.

⁷ الطبري، جامع البيان، ج 10، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ص 19.

⁸ سورة الجن، الآية 12.

⁹ سورة فاطر، الآية 44.

ءَايَتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾، قال ابن زيد في قول الله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾، قال: جاهدين ليهبطوها أو ييطلوها، قال: وهم المشركون، وقرأ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾³، والذين سَعَوْا فِي ءَايَتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴿٤﴾، قرئت مُعَاجِزِينَ، و تأويلها أنهم يُعَجِّزُونَ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَ يُثَبِّطُونَهُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِالْآيَاتِ⁵.

4- مؤخرة الشيء: قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾⁶، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

خَاوِيَةٍ﴾⁷، قال السمين (ت 756 هـ): "والأعجاز: جمع عَجَزٍ وهو مُؤَخَّرُ الشيء ومنه (العَجَزُ)، لأنه يؤدي إلى تأخر الأمور. والمنقعر: المنقلع من أصله، قَعَرْتُ النخلة: قَلَعْتُهَا مِنْ أَصْلِهَا فَانْقَعَرَتْ".

فالإعجاز في القرآن يدل على معنيين:

أحدهما: الدلالة الحسية، وهي أصول النخل ومؤخرتها.

الثاني: الدلالة المعنوية وتتضمن:

¹ سورة الحج، الآية 51.

² سورة فصلت، الآية 26.

³ سورة الحج، الآية 51.

⁴ سورة سباء، الآية 5.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجز).

⁶ سورة القمر، الآية 20.

⁷ سورة الحاقة، 7.

- فوات قدرة الكافرين على الفرار من الله تعالى وعذابه.
- فوات قدرة الكافرين على إبطال نسبة كلام الله تعالى له.
- فوات قدرة الكافرين على تثبيط المؤمنين عن الإيمان بآيات الله.
- ضعف قدرة ابن آدم في رأيه أو عمله.

4.1. معنى إعجاز القرآن كمصطلح مركب:

ورد في معنى إعجاز القرآن كمصطلح مركب عدد من التعريفات أذكر منها ما يأتي:

- ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته¹.
- إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به².
- عدم قدرة العرب على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله مع توفر ملكتهم البيانية³.
- إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن، وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك⁴.

¹ الكفوي، الكليات، ط2، 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 149.

² الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، ج2، ص 331.

³ أحمد درويش، البلاغة القرآنية، ط1، 2010م، ص 19.

⁴ مصطفى ديب البغا، ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ص 151.

5.1. نشأة مصطلح إعجاز القرآن¹:

لقد كانت روعة القرآن الكريم وسحر بيانه مستولياً على القلوب والأفكار، وكن يُحس المؤمنون به بنشوة بالغة وهم يتمعنون آيات الذكر الحكيم. وكان الكافرون المعاندون يحسون في قرارة أنفسهم أن هذا الكلام ليس من كلام البشر وكانوا يحسون بحلاوة عباراته وطلاوة أسلوبه والمعاني الثرة المغدقة في موضوعاته وأنه يعلو ولا يعلى عليه، كما قالها الوليد بن المغيرة في لحظة صدق مع نفسه عندما طلب منه قومه أن يقول في القرآن قولاً لتجتمع كلمتهم عليه ولا يظهرون الاختلاف أمام وفود العرب في الموسم. فبعد أن اعترف أنه ليس من كلام الشعراء لأنه لا ينسجم على أقرائه، وليس من كلام الكهنة لأنه لا يشبه زمزماتهم، وليس بخنق الجنون وهوسه، قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه لمغدق أسفله مثمر أعلاه، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ما يقول هذا بشر. ولكنه أعلن أمام الملأ مكابرة وعناداً ﴿إن هذا إلا سحرٌ يؤثرُ إن هذا إلا قولُ البشر﴾².

لقد كان الذوق العربي السليم يساعد أصحابه على إدراك الأساليب القرآنية في مخاطباته، وكانت قدسية القرآن وعظمته مسيطرة على نفوسهم وكان الإقرار بالعجز عن الارتفاع إلى مستواه كامناً في النفوس.

وبقي هذا الأمر بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين وردحاً من الزمن في الدولة الأموية، إلا أن صفاء السليقة العربية بدأت تفقد صفاءها وبدأت الثقافات الفارسية واليونانية تأخذ طريقها إلى المجتمع

¹ مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط3، دار القلم، دمشق، ص 45.

² سورة المدثر، الآية 24-25.

الإسلامي على يد أبناء الأقطار التي فتحتها المسلمون، وبدأ الناس يفكرون بطريقة عقلية مجردة عن التذوق الجمالي وإدراك المعاني بالسليقة الصافية.

في هذه البيئة المختلطة بالتيارات الثقافية المتباينة، برز الحديث عن وجه إعجاز القرآن، وعن سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل سورة من القرآن. ولعل الفكرة أول ما نشأت في مجالس بعض القوم في البصرة في القرن الثاني الهجري، حيث كانت البصرة تموج بالتيارات الفكرية المختلفة من فقهاء ومحدثين، لغويين وأدباء وفلاسفة متكلمين، ودعاة إلى مذاهب خارجة عن الإسلام كالثنوية والمانوية والسُّمْنِيَّة، الدهرية والزرادشتية وغيرها مما حملته التيارات الفكرية الوافدة من الشرق.

ولم يلتفت جمهور العلماء إلى البحث عن وجه الإعجاز والمعجزة القرآنية، بل لم يبرز مصطلح إعجاز القرآن على الساحة، إلا بعد أن نُقل عن واصل بن عطاء المتوفى سنة (131هـ) شيخ المعتزلة في البصرة قول غريب وهو: أن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته، وهو القول الذي تبناه فيما بعد إبراهيم بن سيار النُّظَّام المتوفى سنة (231هـ) أحد شيوخ المعتزلة في البصرة، وعُرف هذا القول فيما بعد (بالصرفة). عند ذلك بدأ العلماء يتعرضون في ثنايا كتبهم لوجه الإعجاز ويتحدثون عن إعجاز القرآن ولعل أول من تولى الرد على القول بالصرفة هو الجاحظ تلميذ النظام، فإلى جانب تناوله موضوع إعجاز القرآن في إشارات مقتضبة في بعض كتبه الأدبية كـ «الحيوان» و «البيان والتبيين»، فقد ألف كتاباً سماه «نظم القرآن» ليتعرف القارئ من خلال بيان المعاني الغزيرة في الآيات القرآنية ذات الكلمات القليلة على نظم القرآن الكريم وتفرد بنمط معين لا يتوفّر في كلام غيره، وهذا النظم هو سر الإعجاز فيه. فمثلاً يقول: في التعليق على قوله تعالى:

في وصف خمر أهل الجنة ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفُونَ﴾¹: (هاتان الكلمتان جمعاً لجميع عيوب خمر أهل الدنيا)، وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾²: (جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني).

إلا أن كتاب الجاحظ «نظم القرآن» لم يصل إلينا وإنما بقيت الإشارة إليه من خلال كتاباته، وكتابات غيره من الأدباء.

ونهج الأدباء الذين جاؤوا بعد الجاحظ نَهجه في الكشف عن المعاني الدقيقة والإشارات اللطيفة في آيات القرآن الكريم، وألفوا رسائل في نظم القرآن. فمن هؤلاء الذين ألفوا على غرار الجاحظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني المتوفى سنة (316 هـ) حيث ألف كتاباً وسماه «نظم القرآن». وكذلك أبو زيد البلخي أحمد بن سليمان المتوفى سنة (322 هـ) وسمى كتابه «نظم القرآن». أيضاً كذلك أبو بكر أحمد بن علي المعروف بابن الإخشيد المعتزلي المتوفى سنة (326 هـ) وسمى كتابه أيضاً «نظم القرآن».

وقد تعرض العلماء إلى وجوه إعجاز القرآن من خلال كتبهم المختلفة حول الدراسات القرآنية، فنجد الإمام أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (276 هـ) قد تصدى للطاعين في القرآن بشكل عام والمنكرين لإعجازه بشكل خاص في كتابه الجليل

¹ سورة الواقعة، الآية 19.

² سورة الواقعة، الآية 33.

«تأويل مشكل القرآن» ففند مزاعمهم. وكان يمثل إمامة أهل السنة والجماعة في طبقة الأدباء كما كان يمثل الجاحظ طبقة الأدباء من المعتزلة.

يقول ابن قتيبة في أول كتابه «تأويل مشكل القرآن»: الحمد لله الذي نھج لنا سبل الرشاد وھدانا بنور القرآن ولم یجعل له عوجاً، بل نزلہ قیماً مفصلاً بیناً، لا یأتیہ الباطل من بین یدیه ولا من خلفه تنزيل من حکیم حمید ... وقطع بمعجز التألیف أطماع الکائدين وأبانہ بعجیب النظم عن حیل المتکلمین، وجعلہ متلوّاً لا یُملّ علی طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجّہ الآذان، وغضّاً لا یخلق علی کثرة الترداد، وعجیباً لا تنقضي عجائبه، ومفیداً لا تنقطع فوائده ، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه (...).¹

كما تولى المفسرون بیان مزايا الأسلوب القرآني وبلاغته ووجوه إعجازه خلال تفاسيرهم، فنجد شيخ المفسرين في زمانه الإمام ابن جرير الطبري المتوفى سنة (310 هـ) يقول في مقدمة تفسيره:

(... من أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب، ووصفه

الغريب، وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة الخطباء، وكلت عن وصف شكله البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء).

على إثر ذلك اتسعت دائرة الكتابة في علوم البلاغة بعامة وفي إعجاز القرآن بشكل خاص. ولعل

أول من ألف كتاباً مستقلاً تحت هذا العنوان هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة

¹ ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص 10.

(306 هـ)، وسماه «إعجاز القرآن البياني». إلا أننا لم نظفر بكتاب الواسطي، وتذكر كتب التراجم أن

عبد القاهر الجرجاني شرح كتاب الواسطي بكتابين. أحدهما صغير، والثاني كبير وسماه

«المعتضد» - وذلك قبل تأليفه كتاب «دلائل الإعجاز» إلا أن شرحي كتاب الواسطي لم يصلنا إلينا.

2. البحوث البلاغية قبل الرُّماني

كثرت في القرن الثالث الهجري الفرق الإسلامية وتنوعت مشاربها وتفاقم الصراع بينها، وانبرت الشعوية لتطل برأسها من جديد، وبدأت حملات تشكيك بالعرب والقرآن الكريم، فتصدى المدافعون عن العرب وعربية القرآن في وجه أولئك الطاعنين فيمّموا وجوههم نحو دراسة القرآن دراسة فيها روح البلاغة، تظهر جواهره الأسلوبية وبلاغة معانيه، ومدى ما بين الأسلوب والمعنى من تماسك وتلاؤم، قاصدين إبراز مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ومن أهدافهم الرد على الشعوبيين، فجاء أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) بكتاب مهم وهو "مجاز القرآن" فبدأ بمقدمة عامة حدّد فيها منهجه، ومجال كلمة مجاز فيه؛ فبيّن أنّ طرق التعبير في القرآن لا تخرج عن المأثور من أساليب العرب، وقد "نزل القرآن بلسان عربيّ مبين، فمن زعم أنّ فيه غير العربيّة فقد أعظم القول"¹ ثم راح يسوق الأمثلة المفصّلة للبيان العربي؛ قال في مقدمة الكتاب: "قالوا: إنّما أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين، وتصدّق ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾"² فلم يَحْتَجّ السلف ولا الذين أدركوا وحيه

¹ أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجتز القرآن، تح محمد فؤاد سرّكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص 17.

² سورة إبراهيم، الآية 4.

إلى النبي أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، وعمّا فيه ممّا في كلام العرب من الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه

الإعراب، ومن الغريب والمعاني¹.

عد المقدمة يبدأ بشرح ما يراه من مجاز القرآن من بداية المصحف، مشيراً إلى الحديث النبوي الشريف المناسب، مع ذكر الشاهد من مآثور الشعر أو النثر.

لهذا يمتاز منهجه بسعة الثقافة والحرية في فهم النصوص، فاعتمد حسّه اللغويّ في استقراءه لمناحي المجاز، دون أن يلتزم القيود والضوابط التي فرضتها مدرسة البصرة والكوفة لفهم النصوص العربية. وعُني في ضوء هذا التحرّر بالناحية اللغوية في القرآن، وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي ممّا صرّفه عن الاشتغال بالنص القرآني².

وفي مجال كشف دقائق التعبير توسّع في بيان الخصائص التعبيرية من استعارة وتشبيه، كناية، تقديم، تأخير، حذف وإضمار وتكرار؛ ليثبت أنّ النصّ القرآني يحمل كل سمات الكلام العربي، وأنّ من يتصدّى لفهم هذا النص لا بد أن يلمّ بفقه العربية وأساليبها واستعمالاتها.

لذلك فاض كتاب المجاز بمآثور القول من منشور الكلام العربي ومنظومه، تأكيداً لقوله بأنّ العرب لم يكونوا في حاجة إلى كتابه المجاز في القرآن؛ لأنهم أعرف بأساليب القول في لغتهم.

¹ أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجتز القرآن، تح محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص 08.

² أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجتز القرآن، تح محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص 19.

وكذلك عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ (ت 225هـ) الذي أفرد كتاباً أسماه «نظم القرآن» بالإضافة إلى ما ساقه في كتيبه «البيان والتبيين» و «الحيوان». فكان لملاحظاته أثر ومنحى جديد في الدراسة البلاغية، فقد تناول كثيراً من الفنون البيانية بشكل لم يعهد من قبله، فذكر البديع، ورأى أنه مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان¹. وفي هذا يرد على

الشعوبية ويدافع عن العرب، وذكر الازدواج والسجع، وجاء بنماذج لهما، وخص بالذكر ما سمي بـ «الأسلوب الحكيم»: وهو ترك جواب السائل إلى ما هو أنفع له، وقريب منه اللغز في الجواب، والمذهب الكلامي، وهو أول من سماه بهذا الاسم²، وذكر جودة الابتداء والقافية³، وأسلوب القلب، وعده من الحذق في الكلام، ومدح الكلام الموزون، وبين تفضيل إصابة المقادير، وهو ما سماه البلاغيون «الاحتباس»، وذكر بيت طرفه في المقدار وإصابته:

فَسَقَى دِيَارِك -غَيْر مُفْسِدِهَا- صَوْبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةُ تَهْمَى⁴

طلب الغيث على قدر الحاجة، لأن الفاضل ضارّ، وذكر الكناية، مبيناً فضلها، فقال:

«ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أوعزّ طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك، وأحق بالنظر»⁵، وساق أمثلة على

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، تح المحامي فوزي عطوي، بيروت دار صعب، 1968، ص 584-585.

² ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، بيروت، 1982، ص 53.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، تح المحامي فوزي عطوي، بيروت دار صعب، 1968، ص 74.

⁴ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ص 193.

⁵ الجاحظ، البيان والتبيين، تح المحامي فوزي عطوي، بيروت دار صعب، 1968، ص 216.

ذلك، وعرض لإيجاز الحذف والقصر، فبين فضله مع شواهد، ومدح الإيجاز في موضعه، ولم يقصد به مجرد قصر الألفاظ وقلة كميتها فحسب، بل مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة. وهذا ما أخذ به ابن الأثير حين رفض وجود طبقة ثالثة بين الإيجاز والإطناب، وإن لم ينكر حقيقة المساواة، فأدخلها ضمن الإيجاز بهذا المعنى الذي قصده الجاحظ. وذكر الإطناب باسم الإطالة، ومدحه في موضعه، وعدّه من البلاغة، وذم التكلف فيه. وأورد كثيراً من التشبيهات الرائعة، وبين حسناتها وما فيها من ذوق أدبي جمالي، فذكر التشبيه المفرق، ثم قال: «ولم نر في التشبيه كقوله: حين شبّه شيئين بشيئين في حالتين مختلفين في بيت واحد، وهو قوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وشواهد المجاز والتشبيه من القرآن والشعر التي ذكرها لم تخرج كتب البلاغة بعده عنها¹ كما أنه ذكر الاستعارة في قول الشاعر:

يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِلَاهَا كَأَنَّمَا بِقَلَمٍ مَحَاهَا

أَخْرَبَهَا عُمَرَاؤُ مِنْ بَنَاهَا وَكَرُّ مُمْسَاهَا عَلَى مَغْنَاهَا

وَطَفَقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عَرَاصِمِهَا عَيْنَاهَا

¹ الجاحظ، الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، ص24.

عيناها هاهنا: السحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه¹، وتسمية هذا النوع باسم الاستعارة، وإن لم يكن جامعاً ولا مانعاً، فهو أقرب للمجاز اللغوي، فلذلك أدخل ما نقل من معناه إلى غيره كالمجاز المرسل والكناية بعلاقة

غير المشابهة² ولكن على كل حال تعد خطورة هامة في البحث البياني.

ما ينبغي ملاحظته أن الجاحظ أثار كثيراً من قضايا البلاغة العامة كالعيوب اللسانية، فنبه

على وجوب مراعاة مقتضى الحال من اختيار الألفاظ المناسبة البعيدة عن التعقيد للمعاني من غير تكلف فيها فنقل عن بشر بن المعتمر قوله: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"³.

ثم بين أنه لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ساقطاً سوقياً ولا غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ثم قال: "ومتى شاكل -أبقاك الله- ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه، وكان لتلك

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، تح المحامي فوزي عطوي، بيروت دار صعب، 1968، ص 94-95.

² المرجع نفسه، ص 95.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، تح المحامي فوزي عطوي، بيروت دار صعب، 1968، ص 87-88.

الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلف كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض

العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة. ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه، وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبيب إلى النفوس واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب». وتعدُّ صحيفة بشر بن المعتمر الذي نشرها الجاحظ أول وثيقة مكتوبة في البلاغة¹.

بعد إلقاء هذه النظرة المختصرة على بذور البلاغة لدى الجاحظ - وهي بلاغة تذوقية جمالية، لم تخضع لتعريفات البلاغة وتحديداتها - يمكن أن أحكم على معالجة الجاحظ ألوان البلاغة بما قاله د. عبد العزيز عتيق (ت1396هـ):

" ومجمل القول في الجاحظ أنه ألم في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية،

حقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد البلاغية، وللمقارنة بينه وبين من تقدموه يظهر أنه كان - بلا شك - أقدرهم على إدراك أسرار البلاغة، وأكثرهم اهتداء عن طريق النماذج إلى شتى العناصر أو الأساليب البيانية التي عرفت وحددت فيما بعد، وأصبحت تؤلف مباحث البلاغة وموضوعاتها، ولهذا

¹ القزويني، الإيضاح، ط3، دار الجيل، بيروت، ص 48.

السبب يعدّ بحق مؤسس البلاغة العربية الأول ومعيد الطريق أمام من أتى من بعده من رجالها¹. وقال د. شوقي ضيف: "لو رام الجاحظ أن يدرس ما أورده من شواهد ونماذج ضمن تعريفات لما أعجزه ذلك، لأنه قد أورد بعض التعاريف التي ما عدّتها كتب البلاغة، ودرس تحتها هذه الشواهد إلا أن الجاحظ اختار هذه الطريقة لما فيها من كشف عن أسرار البلاغة، والوقوف على مواطن الجمال فيها، وهذا منقبة له. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بعد ذلك كله: إن الجاحظ يُعدّ -غير منازع- مؤسس البلاغة العربية"² ولا غرابة في هذا، وإلى هذا يميل كل من محمد عبد المنعم الحفاجي وسيد نوفل ومازن المبارك³.

عندما اطلعت على ما كتبه الجاحظ في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين، ورنوت إلى ما فيهما من شواهد، وشرح للألوان البلاغية ومقارنتها مع غير العرب، ومدى تخير اللفظ لمناسب مع شروط فيه: ليطابق المعنى ومراعاة أحوال المخاطب من إنجاز وإطناب وتكرار واحتراس وسوى ذلك من مباحث علم البيان، وإن لم تتضح معالمها كما استقرت عليه بعده، وكذلك أصناف البديع من سجع وازدواج وأسلوب الحكيم والمذهب الكلامي وغيرها، ثم لاحظت مدى تأثير عبد القاهر الجرجاني بأسلوب الجاحظ، مردداً أقواله بإعجاب، مستشهداً بما في زهو وثقة، أقول: مالت نفسي إلى هذا الرأي. واعتبار عبد القاهر مكماً، ومشيداً على هذا الأساس. والله أعلم.

¹ عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ص 11.

² شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، ص 57.

³ سيد نوفل، البلاغة العربية في دور نشأتها، القاهرة، ص 170.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري نجد عالماً لغوياً تحوياً فذاً خط كتاباً عدّ عمدة في كتب الأدب العربي «الكامل» لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ). ويلاحظ من خلال تناوله مباحث البلاغة وضوح الفكرة لديه، وهو أقرب إلى البلاغة الاصطلاحية بتقسيماتها وتعريفاتها، وإن لم تكن كذلك تماماً، فأستهلّ الكلام عن البلاغة بآخر ما ذكره المبرد في كتابه عن العنابي لما سئل: ما أقرب البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع¹، ثم افتتح كلامه يتناول الإيجاز والإطناب، فتحدث عن الاختصار المفهم، والإطناب المفهم، ثم تحدث عن الألفاظ القريبة المفهمة وعن التعقيد المعنوي فيقول الشاعر:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ.

ثم ذكر خروج الاستفهام عن أصل دلالاته إلى التوبيخ والتقدير. ثم ذكر الاستعارة، وبين أن العرب تستعير من بعض لبعض، وذكر أنه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل ببصره: أعمى، يراد أنه قد حل محل من لا يبصر البتة إذا لم يعمل بصره، وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل: أصم. وكلامه عن التشبيه قد غطى على غيره لإطالته فيه فعقد له باباً سماه

«باب في التشبيه» ثم حدّه بقوله: الأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فإذا شبه الوجه بالشمس، فإنما يراد الضياء والرونق ولا يراد به العظم والإحراق.

¹ المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، ج3، 1502.

فحديثه هذا عن تعدد أغراض التشبيه والمشبه به واحد، ولكن بوجوه متعددة حسب ما يقتضي المقام، وهي فكرة بسطها القاضي الجرجاني¹، وتبناها عبد القاهر وقيدَها، وبين المبرد أن ذلك جار بكثرة في كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد². ثم قسم التشبيه إلى أربعة أضرب: مفرط ومصيب ومقارب وبعيد يحتاج إلى التفسير، ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام، ثم ساق شواهد على التشبيه المفرط بما فيه من جيد وحسن وعجيب ثم المصيب والمقارب، ثم ذكر التشبيه التمثيلي من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، فقال: "ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله: كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجُرْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبْ".

ولم يقف المبرد ناقلاً، بل كان ميرزا نواحي الجمال في التشبيه، فذكر حلو التشبيه وقريبه، صريحه وبلغه، وذكر التشبيه الخيالي، وبين أنه من تشبيه الحاضر بشيء غائب لما تقرر في القلوب من نكارتة وشناعته، وذلك في قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾³. فقال: وقد اعترض معترض من الجهالة الملحدِين، في هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بما! الذي يسبق إلى القلب - أن الله جل ذكره صنع صورة الشياطين في قلوب العباد. فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة مما تنفر منه كل نفس، ويتحدث عن الكناية، ويبين أضرها الثلاثة وهي إما التعمية والتغطية، أو الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من

¹ الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 1900، ص 392.

² المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، ج2، ص 996.

³ سورة الصافات، الآية 65.

غيره، أو التفخيم والتعظيم، وهي نقلة نوعية في تطور مفهوم الكناية¹، وأشار إلى المجاز، فذكر العلاقة بما يؤول إليه، وجعلها من قبيل التشبيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾² أي أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحال. ويظهر أن المبرد لم يفرق بين المجاز المرسل والاستعارة.

ذكر المبرد اللف والنشر وعرفه وذكر له أمثلة فقال: "والعرب تلف الخبرين المختلفين، تم ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره. قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾³ وذكر السجع، والالتفات، وبين أن العرب تترك مخاطبة الغالب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغالب، وذكر الآية الكريمة: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِمِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾⁴. وبين أن المخاطبة للأمة ثم حولت المخاطبة إلى النبي.

كانت هذه اللمسات الفنية -ولاسيما في التشبيه والبيان- خير رافد لمن جاء بعده بعد كتابات أستاذه "الجاحظ" وإن ظهر تأثر المبرد في كتاباته بالجاحظ وأبي عبيدة وسواهما، وبقيت كلمة يجب ان تسجل للمبرد وهي قوله في جواب أبي يعقوب الكندي الذي غدا معلماً لما سمي بأضرب الخبر من ابتدائي وطلبي وإنكاري، فروى الإمام عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- عن ابن الأنباري أنه قال: ركب الكِندي المتفلسف إلى أبي العباس، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائمٌ، ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائمٌ ثم

¹ المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، ج2، ص 855-857.

² سورة يوسف، الآية 36.

³ سورة القصص، الآية 73.

⁴ سورة يونس، الآية 22.

يقولون: إن عبد الله لقائمٌ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفةٌ لاختلاف الألفاظ فقولهم عبدُ الله قائمٌ إخبارٌ عن قيامه وقولهم: إنَّ عبد الله قائمٌ جواب عن سؤالٍ سائل. وقولهم: إنَّ عبدَ الله لقائمٌ جواب عن إنكارٍ منكرٍ قيامه فقد تكررَت الألفاظُ لتكرُّر المعاني. قال: فما أحرَّ التَّفلسُّفُ جواباً¹. فقد استطاع المبرد من خلال تضلعه بعلم النحو وإمامته لمدرسة البصريين أن يجيد فيما تناوله، فيعمل فيه فكره، وأراه لو أراد الاسترسال في باقي الفنون لأجاد كما أجاد في التشبيه وفي بعض فنون البديع كاللف والنشر، والسجع، والالتفات، ولكن عذره أن كتابه ليس مخصصاً للبحث في البلاغة، بله أنها لم تستقلَّ كفن قائم بذاته له أسسه وغاياته.

ولا ينقضي هذا القرن إلا وقد حمل إلى الساحة البلاغية كتاباً سما بفن من فنون البلاغة، فالتصق

به وهو كتاب «البديع» ومصنفه: عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (ت 296هـ)، الذي قال عن.

مصنّفه: وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد². وكان قصد ابن المعتز من مؤلفه هذا بيان عوار قول من زعم التجديد في البديع، ويدحض حجج هؤلاء المبطلين، ويكشف زيف ما يدعونه من اختراع علم البديع مع أنه قديم، فرد الفضل إلى أهله. فقال: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا ... الذي سَمّاه المحدثون البديع، ليعلم أن بشّاراً، ومسلماً، وأبا نواس، ومن تقيّلهم وسلّك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سَمّي بهذا الاسم، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شعف به حتى غلب عليه وتفرع فيه، وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، ص315.

² ابن المعتز، البديع، ط1، دار الجيل، ص152.

بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف". وقد ذكر في كتابه هذا ثمانية عشر نوعاً. وكتابه لم يكن حصراً على المحسنات البديعية الاصطلاحية، حيث بدأ بالاستعارة من بين خمسة ألوان هي أصول البديع الكبرى في نظره، وعرفها بقوله: "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"¹. ثم تحدث عن حسن التشبيه والاعتراض والتعريض والكناية.

وتعدُّ دراسته للبديع أول دراسة متخصصة من نوعها في كتاب تخصصي تناول مزايا البديع

البلاغية، وإن وجدت متفرقات في كتابات الشافعي وأبي عبيدة والفراء والجاحظ وثعلب أستاذ ابن المعتز في كتابه «قواعد الشعر» وغيرها، وأفاد منه كثيراً قدامة بن جعفر في «نقد الشعر» والآمدي في «الموازنة بين الطائيين» وأبو هلال في «الصناعتين» وابن رشيق القيرواني في «العمدة» وغيرهم. "ومن أهم ما يميز الكتاب دقة ذوقه وصفائه في اختيار الأمثلة والشواهد، ويكفيه فضلاً أنه أول من صنف في البديع، ورسم فنونه، وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البيئية والشواهد الناطقة بحيث أصبح إماماً لكل من صنف في البديع بعده، ونبراساً يهديهم الطريق"².

¹ ابن المعتز، البديع، ط1، دار الجيل، ص152.

² شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، ص75.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الجانب التطبيقي

- لَمَحَة عَنْ سِيرَةِ أَبِي الْحَسَنِ الرُّمَائِيِّ، وَبَعْضُ مُؤَلَّفَاتِهِ
- مَضَامِين رِسَالَةِ " النُّكْتِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ "

العلم بحر لا ساحل له، فمن رامه فقد سأل المستحيل، فخذ من العلم ما تذايقه وما تتقنه، والنظر في تراجم العلماء نستبين منهم كيف أخذوا العلم شيئاً فشيئاً حتى بلغوا جودته، ومن بين هؤلاء العلماء الجهابذة أبو الحسن الرماني، سنتبع سيرته بشكل مختصر غير محل، لنبين ما هو عليه، ثم بعد ذلك نتطرق إلى وصف رسالته الموسومة بـ "النكت في إعجاز القرآن".

1. ملحة عن سيرة أبي الحسن الرُماني:¹

هو علي بن عبد الله أبو الحسن الإخشيدي الوراق الرُماني، نسبة إلى الرمان الموجود

بواسطة، والإخشيدي نسبة إلى الإخشيد وهو أستاذه المعتزلي، من كبار النحاة، أصله من سامراء،² لقب بالوراق لأنه كان يمارس أعمال الوراقة التي كانت شائعة في عصره.

ولد سنة ست وتسعين ومائتين (296) للهجرة³ ببغداد وقيل سامر، واشتغل بطلب العلم عند شيوخ منهم أبي بكر بن دريد، وأبي بكر السراج، والزجاج وشيخ أshipاخه الإخشيدي المتكلم، المعتزلي، ومما يدل على ذلك أنه لقب بالإخشيدي.

برع في علوم عدة منها النحو وقد لقب بالنحوي، والمنطق والفلسفة وعلوم القرآن والحديث والفقه. من آثاره العلمية تفسير القرآن لم يصل منه إلا أجزاء نقلها عنه العلماء، ورسالته النكت في إعجاز

¹ أبي الحسن الرُماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 02.

² خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 15، ج 4، دار العلم للملايين، لبنان، 317 ص.

³ السيوطي، طبقات المفسرين، 2010م، دار النوادر، الكويت، 24 ص.

القرآن، والجامع في علوم القرآن وشرح معاني القرآن للزجاج¹. وأكثر مؤلفاته في النحو وأشهرها شرح

كتابي المدخل والمقتضب للمبرد وشرح الكتاب لسيبويه وكتاب الإيجاز في النحو، وكتاب

التصريف وغيرها من الكتب، توفي رحمه الله سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (384) للهجرة .

هذا ولم يكتب الرماني كتابا في الإعجاز وافيا وما وصلنا من رأيه في إعجاز القرآن الكريم رسالة

تسمى "النكت في إعجاز القرآن الكريم"، بدأها على شكل سؤال قال فيه: "سألت وفقك الله عن

ذكر النكت في إعجاز القرآن الكريم دون التطويل بالحجاج وأنا أجتهد في بلوغ محبتك، والله الموفق

للصواب بمنه ورحمته"². ثم شرع في بيان وجوه الإعجاز كما سنوضح إن شاء الله. هذا الإفتتاح يظهر

أن الرماني تحدث عن إعجاز القرآن الكريم من خلال بيان النكت في إعجاز القرآن، بمعنى بيان

اللطائف والأسرار الخفية التي تدرك بالفطنة وحسن التأمل. وعليه فإن أثره هذا في موضوع الإعجاز

ليس كتابا مرتبا بالطريقة المنهجية المعروفة بل هو إشارات نستطيع من خلالها استنباط رأيه في الإعجاز

بشكل مجمل.

¹ أبي الحسن الرماني، الجامع لعلم القرآن، دار الكتب العلمية، ص 7.

² أبو الحسن الرماني، كتاب النكت في إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، 75 ص.

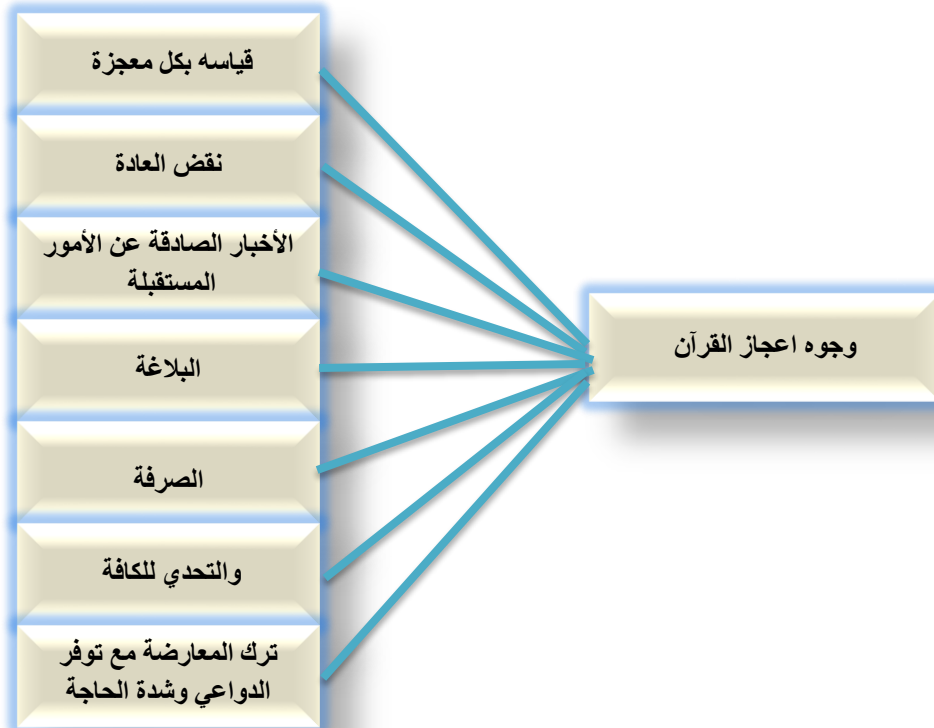
2. مضامين رسالة "النكت في إعجاز القرآن:

تحمل الرسالة في طياتها فوائد بلاغية إعجازية نفيسة، وهي تعكس لنا مقدرته العلمية وحسن استدلاله وسلسلة أساليبه في التحليل والاستنباط، وكذا تترجم أفكاره وآرائه في مفهوم الإعجاز في القرآن.

رسالة "النكت في إعجاز القرآن" طبعت مع رسالتين أخريين، إحداهما "بيان إعجاز القرآن" لأبي سليمان الخطابي، والثانية "الرسالة الشافية" لأبي بكر الجرجاني، وذلك ضمن كتاب بعنوان: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن". وكان سبب كتابة هذه الرسالة هو الإجابة على سؤال حول الإعجاز في القرآن، حيث ذكر قائلها: "تظهر وجوه إعجاز القرآن في سبع جهات وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة، الصرفة، البلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة"¹. كما في الشكل رقم واحد 01

¹ برند شبلر، علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة أسلوب البلاغة وعلم اللغة النص، دط، دت، ص185.

الشكل رقم واحد 01: مخطط توضيحي كيف قسم الرماني وجوه الإعجاز القرآني.



1.2. طبقات البلاغة:

بدأ الرماني في بيان طبقات البلاغة وهي عنده ثلاث طبقات¹، وهذا التقسيم صار محور نظرية الإعجاز عنده، قال الرماني: " فأما البلاغة فهي ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"².

¹ أبو الحسن الرُّماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 75.

² المرجع نفسه، ص 75.

مبادئ نظريته:

1- بلاغة القرآن وهي أعلى طبقة، وهذه الطبقة معجزة، وهي طبقة القرآن الكريم (حصرا)، وقصد الحصر ظاهر من صيغة عبارته حيث قال " فهو معجز وهو بلاغة القرآن " وهذه صيغة تفيد الحصر.

2- أدنى طبقة ولعله قصد من هذه الطبقة الكلام الأعلى مستوى من كلام عامة الناس.

3- وسط بين ذلك، وهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس.

2.2. أقسام البلاغة:

لقد قسم الرماني في رسالته البلاغة إلى عشرة أقسام، وفصل كل باب على حده، وذكر أمثلة من القرآن الكريم، بحيث كانت هذه الآيات التي ذكرها عبارة عن أمثلة تجسدية لكل باب من هذه الأبواب: باب الإيجاز، باب التشبيه، باب الإستعارة، باب التلاؤم، باب الفواصل، باب التجانس، باب التصريف، باب التضمن، باب المبالغة و باب البيان، ومن هنا نستنتج بأن البلاغة وجدت في القرآن الكريم قبل أن تذكر في الكتب البلاغية القديمة، ونحن في هذا الفصل سنفصل في كل باب بمفرده. (ينظر الشكل الثاني 02)

الشكل الثاني 02: مخطط يوضح تقسيم البلاغة عند الرّماني.



أ- الباب الأول: الإيجاز

يعرف الرّماني الإيجاز بأنه "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ويوضح ذلك بأن المعنى قد يعبر عنه بألفاظ قليلة، وقد يعبر عنه بألفاظ كثيرة، وعندها يكون استخدام القليل من اللفظ هو الإيجاز"¹. وهذا يعني أن الإيجاز البليغ عند الرّماني لا بد فيه من أمرين: اختصار الألفاظ، وتمام المعاني، وهذا ما سار عليه البلاغيون. مثلاً ابن سنان في سر الفصاحة يعتبر الأصل في مدح الإيجاز الاختصار في الألفاظ مع الوفاء بالمعنى، ويرى أن الاختصار في الكلام محمود؛ "لأن الألفاظ غير مقصودة

¹ النكت ص 76.

في أنفسها وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة، وإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على سواء في السهولة إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من الآخر فلا بد أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد، فإن تقارب اللفظان في الإيجاز وكان أحدهما أشد إيضاحاً للمعنى كان بمنزلة تساوي الطريقين في القرب وزيادة أحدهما بالسهولة¹.

أقسام الإيجاز:

يقسم الرّماني الإيجاز إلى قسمين: إيجاز حذف، وإيجاز قصر.

إيجاز الحذف:

يعرف الرّماني إيجاز الحذف بأنه إسقاط كلمة للاجتماع عنها، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام².

وتوضيح كلامه أن إيجاز الحذف يعني الاستغناء عن الكلمة أو الكلمات والاكتفاء عنها بدليل لفظي من حال الكلام، أو دليل معنوي من فحواه يدل عليه، ويضرب على ذلك مثلاً من قوله تعالى:

¹ سر الفصاحة، ابن سنان، ص 203، وكذلك 214. وانظر كذلك المثل السائر لابن الأثير، 27/1.

² النكت، ص 76.

﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾¹ أي أسأل أهلها، ويقصد الرّماني بهذا المثال حذف كلمة هي (أهل) وعليه فالمقصود أسأل أهل القرية، وقد حذفت لدليل معنوي هو أن القرية لا تعقل وبالتالي فالسؤال لأهلها وليس لها، وحسن هذا الإيجاز في اختصار الكلام دون الإخلال بالمعنى وهو من أحسن البلاغة. هنالك نوع آخر من إيجاز الحذف هو حذف الأجوبة كما في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾²، قال الرّماني: كأنه قال حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير، وتوضيح كلام الرّماني أن (إذا) شرطية يلحقها شرط وجواب، وشرطها هنا ﴿جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾، أما جوابها فمحذوف تقديره حصلوا على النعيم المقيم، حذف لدلالة الكلام عليه وهذا إيجاز حذف، ويعلل الرّماني كون الحذف أبلغ من الذكر أن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان³.

وهذا يعني أن للحذف بالإضافة للاختصار سرا آخر هو أن النفس تذهب في المحذوف إلى كل مذهب حسن ترغبه، وفي ذلك سعة في النعيم أكثر مما لو ذكر وقصرت على المذكور. وهذا تعليل ينبئ عن عمق ذكاء الرجل، ودقة ملاحظته، وسلامة ذوقه، وقد أشار إلى هذا السر الزمخشري فقال: "(حتّى)

¹ سورة يوسف، الآية 82.

² سورة الزمر، الآية 73.

³ النكت، ص 77.

هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أنّ جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف".

ولأهمية كلام الرّماني هنا أخذه عنه من بعده مع تطوير وتفصيل، كما فعل القزويني حيث ذكر أن من الإيجاز ما يكون بحذف والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة، ثم ذكر أقسام ذلك ومثل عليه، وقال إن الغرض منه الاختصار لوجود دلالة تغني عنه¹.

إيجاز القصر:

وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ دقيقة، ويعني الرّماني بهذا أن إيجاز القصر هو ما ليس فيه حذف شيء مما يؤدي به أصل المراد كما يقول التفتازاني. وهذا الوجه كما يرى الرّماني أغمض (أي أدق) من سابقه، وذلك للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح. فالرّماني يرى أن إيجاز القصر أبلغ من إيجاز الحذف.

وهذا الضرب من الإنجاز كما يقول الرّماني كثير، ويضرب عليه أمثلة عديدة منها: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾². لم يعقد مقارنة بين الإنجاز في هذه الآية الكريمة في قوله

¹ انظر الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، ص، 180.

² سورة البقرة، الآية 179.

تعالى: ﴿القصاص حياة﴾، وما استحسنته الناس من إيجاز في قولهم: "القتل أنفى للقتل"، ومقارنته كانت من خلال أربعة وجوه:¹

الأول: أنها أكثر في الفائدة، ففي الآية زيادة عن القول المأثور الإشارة إلى العدل لذكرها

القصاص، وإبانة الغرض المرغوب فيه لذكرها (الحياة)، والحث على الالتزام بالرغبة والرغبة لذكرها حكم الله.

الثاني: إيجاز العبارة، فالآية عشرة حروف والقول أربعة عشر.

الثالث: البعد عن التكرار، حيث كرر في القول لفظ القتل. ويشير الرّماني هنا إلى قضية مهمة هي أن الكلام قد يكون بليغا ولكنه يَفْصُرُ عن الطبقة العليا للبلاغة إن قَصُرَ في أداء المعنى، أو ذكر ما لا يتطلبه المقام.

الرابع: حسن التأليف بين الحروف، فالانتقال من الحرف إلى الذي بعده في الآية أسلس من القول المأثور.

وقضية الأصوات هذه التي ذكرها الرّماني ارتكز عليها ووسعها كثير ممن بعده، بل اعتبرها بعض

¹ النكت، ص 77-78.

المحدثين وجها من وجوه الإعجاز وسموه الإعجاز الصوتي، ومن هؤلاء الرافعي حيث يقول ردا على من زعموا زيادة الحرف (ما) في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾¹: "إن النحاة يقولون

إن ما زائدة ومقصود قولهم زائدة في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنها كذلك في النظم يقيس عليه مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية، تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه، وأن ذلك رحمة من الله فجاء هذا المد

في (ما) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يتبدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق"².

والذي أراه أن هذا الوجه لا يستقل في إثبات البلاغة والإعجاز وإنما يمكن أن يكون وجها من الوجوه المكملة.

ويشير الرّماني بعد ذلك إلى قضية مهمة وهي أن البلاغة والحسن في الآية إنما كان باجتماع هذه الأمور فيها، وهذا جعلها أبلغ من القول المأثور، وإن كان الثاني بليغا. وهذا معناه أن إعجاز القرآن إنما يكون باجتماع عدة وجوه من الحسن في آن واحد، أما وجود وجه أو وجهين فليس بالأمر المعجز إذ قد يكون في كلام البلغاء واحد أو أكثر من ذلك.

¹ سورة آل عمران، الآية 159.

² إعجاز القرآن، ص 189 – 190.

يفرق الزماني بين الإيجاز البليغ الذي يتم به المعنى، والتقصير العبي الذي لا يتم به المعنى، كما يفرق بين الإطناب الذي فيه تفصيل للغرض، وبين التطويل العبي الذي فيه تطويل بدون فائدة.¹ وهذا وجه دقيق في التفريق إذ ليس كل حذف إيجازا بليغا، وليس كل تكثير تطويلا عيبا.

ألا ترى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾² فيه حرف التشبيه وهو الكاف واسم تشبيهه و (مثل) وليس هذا التكثير تطويلا محلا بل في التكثير فوائد منها أن يكون المقصود نفي التشبيه، بأبلغ صورة وأكمل معنى في النفي، وهذا الأسلوب على نحو قولهم: مثلك لا يكذب. وليس المقصود نفي الكذب عن مثل المخاطب بل المقصود نفي الكذب عن المخاطب نفسه، ومعنى العبارة أن من يكون بهذه الصفة لا يمكن أن يكذب وعليه يكون معنى الآية: من كان بهذه الصفات العظيمة الفريدة (وهو الله) لا يمكن أن يكون له مثيلا.

وقريب من هذا قولهم إن المراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا بقصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نُفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري حيث قال:

¹ النكت، ص 78.

² سورة الشورى، الآية 11.

" قالوا مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريقة الكناية؛ لأنهم إذا نفوه عن يسد مسده، وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه"¹.

بعد ذلك يذكر الرّماني أن الإيجاز (من جهة أخرى) يأتي على وجهين² :

1- إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة، وهذا يكون كثيرا في العلوم القياسية، وذلك أنه إذا فهم شرح الجملة كفى بعد ذلك حفظ النكتة لأنها تكون حينئذ دالة ومغنية عن التعلق بها في نفسها. وهذا الذي ذكره الرّماني وهو الغرض من نظم مسائل العقيدة والفقه والنحو في قصائد شعرية تقدم المعنى بأوجز الألفاظ وهذا كذلك شأن مختصرات الشروح.

2- تقديم المعنى بأقل عبارة.

ثم ذكر الرماني فوائد الإيجاز وهي عنده³:

1- سلوك الطريق الأقرب.

2- تقديم الغرض المقصود دون تشعب.

¹ الزمخشري، 4 / 217 وأبو حيان، 9 / 326.

² النكت، ص 79.

³ النكت، ص 79.

3- إيصال الفائدة بالحسن دون القبيح.

ثم يورد الرّماني مزايا أخرى للإيجاز وهي أبرز ما تظهر في إيجاز القرآن الكريم¹:

1- تصفية الألفاظ من الكدر.

2- البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من ألفاظ.

3- إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير.

4- الإيجاز والإكثار إنما هما في المعنى الواحد. وهذا يعني أن الإكثار - يقصد الإطناب - إذا كان مناسباً

للمقام كان فيه من البلاغة ما في الإيجاز

"كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على النعمة، فإطناب فيه إيجاز"².

بعد أن وصل الرّماني إلى آخر الحديث عن الإيجاز، لم نره في أي مثال من أمثلته أشار إلى وجه

الإعجاز فيه، وليس ذلك في الإيجاز فقط بل في كل الوجوه التي ذكرها، ولعله لم يبحث عن ذلك

لأنه بالنسبة له بَيّن.

¹النكت، ص 80.

²النكت، ص 80.

فالإعجاز وإن كان يدرك إلا أنه لا يمكن أن يحصر ويوصف وصفا دقيقا، بل غاية الأمر فيه أن يشار إلى ضوابطه الإجمالية، وهذا ما قامت عليه كتب المعاني والبيان.

أما دليل الإعجاز؛ فيكفي فيه أن يدرك بالذوق السليم ويصرح بذلك السكاكي (626 هـ) حيث يقول: "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، أو كالملاحظة. ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين (المعاني والبيان) نعم للبلاغة وجوه متلثمة ربما تيسرت إمطة اللثام عنها لتُجلى عليك، أما نفس وجه الإعجاز فلا"¹.

الباب الثاني: التشبيه

يُعرف الرّماني التشبيه بأنه "العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"².

معنى كلامه إقامة الكلام على وصف شيء بشيء لصفة مشتركة بينهما، وهذا الوصف قد يكون في النفس بأن تحس هي هذه المشابهة، وقد يكون في العقل بأن يدرك هو هذه المشابهة، وأحيانا يعبر الرّماني عن العقل بالنفس.

وهذا التعريف ما استقر عليه مصطلح التشبيه، فقد وردت تعاريف كثيرة نقلها المتأخرون عن

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 526.

² النكت، ص 80.

المتقدمين وكلها تدور حول ما ذكره الرّماني وسابقوه، خذ مثلاً تعريف القزويني وهو أن التشبيه: "مشاركة أمر لآخر في المعنى"¹. وتعريف أبي هلال العسكري وهو أن " التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب... ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابه من وجه واحد"².

ثم يذكر الرّماني تقسيماً للتشبيه ويجعله على نوعين:³

1- الحسي: كماءين، يقصد كقولك هذا الماء كهذا الماء، فالطرفان يقوم أحدهما مقام الآخر.

قلت: وهذا لا يعني تشابهاً من كل الوجوه وإلا صاراً شيئاً واحداً، وإنما يعني أن الطرفين يسد أحدهما مسد الآخر في الصفة المشتركة.

2 -النفسي: كتشبيه قوة زيد بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم. وهذا التقسيم اعتمده كثيرون مع تفصيل لهذين القسمين لتصبح الأقسام باعتبار طرفيه أربعة أقسام هي: إما حسيان أو عقليان، أو المشبه به حسي، والمشبّه عقلي، أو عكسه"⁴. وهذا ما عبر عنه الرّماني بالحس والنفس الذي هو عند المتأخرين العقلي.

¹ الإيضاح، القزويني، ج1، ص 347.

² أبو هلال العسكري، الصناعتين، ط 2، دار الفكر العربي، 239 ص.

³ النكت، ص 80.

⁴ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 3 / 477، وتابعة السيوطي في الإتيقان في علوم القرآن، ج 3 ص 129.

ثم يذكر تقسيما آخر للتشبيه يجعله فيه على نوعين¹:

1 - تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، كتشبيه الجوهر بالجوهر.

2 - تشبيه شيئين مختلفين لمعنى مشترك يجمعها، كتشبيه الشدة بالموت.

ثم يصف الرماني التشبيه الذي فيه إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف بأنه تشبيه بليغ².

الرماني هنا لا يقصد التشبيه البليغ الذي تعارف عليه البلاغيون مؤخرا، وهو الذي تحذف فيه

الأداة ووجه الشبه، بل يقصد أن يصف هذا الشكل من التشبيه بأنه قول بليغ. يدل على ذلك قوله (إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه) والتشبيه البليغ تحذف منه أداة التشبيه.

ومن الجدير بالاهتمام في عبارة الرماني قوله (مع حسن التأليف) وهذا ما سماه الجرجاني النظم أو العلاقات، إذ يقول: "ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"³.

¹ النكت، ص 81.

² النكت، ص 81.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، ص80.

أُتفق الشيخان على ذلك والبلاغيون ساروا على سيرهم، لأن التشبيه لا تظهر قيمته الحقيقية، إلا إذا كان متصلاً مرتبطاً ببقية عناصر الكلام، ليعطي الكلام مجتمعا صورةً بلاغية حسنة، ولو كان التشبيه مبتورا عن السياق لبدى نافرا حتى وإن كان جميلا، ولما أعطى جماله مستقلا صورة جميلة، فإنما يظهر الحسن في الكلام باجتماع العبارات والصور بنظام مكين يجمع الحسن إلى الحسن ويعرضه في أتم

تركيب وأبهى صورة ويصنع منه معاني ظاهرة جميلة تكتسب من الألفاظ حسنا وتكسب هي الألفاظ حسنا آخر، فيجتمع الحسن على الحسن ويصل الكلام إلى أبلغ تأثير. تلك هي نظرية النظم التي قدم لها الرّماني ونظمها الجرجاني فارس البلاغة وصاحب نظرية النظم.

والرّماني يرى أن التشبيه هذا (أي البليغ) على مراتب يتفاضل بها أصحاب القول وهي ¹:

1- الوجه الأول: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ

كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ

الْحِسَابِ﴾ ² " هذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم

مع شدة الحاجة وعدم الفاقة، ولو قال يحسبه الرائي ماء، ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر، لكان

بليغا وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمان أشد حرصا عليه وتعلق قلبه به، ثم بعد هذه الحيلة حصل

على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار، وتشبيه أعمال الكفار بالنار من حسن التشبيه،

¹ النكت، ص 81.

² سورة النور، الآية 39.

فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم"¹. وفي عبارته الأخيرة يشير الرّماني إلى الأصل الذي قرره قبل قليل واتفق معه فيه الجرجاني وهو أن حسن اللفظ لا يكتمل إلا بحسن التأليف.

2- الوجه الثاني: إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به، كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أُعْجِبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾²، " فقد اجتماعا في شدة الإعجاب ثم في التغير بالانقلاب، وفي ذلك الاحتقار للدنيا، والتحذير من الغرار بها، والسكون إليها وقد اجتماعا في خلو الأجساد من الأرواح، وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول الأمر به إلى ذلك"³.

ومنه كذلك: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾⁴، " فهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة، إلى ما قد جرت به، وقد اجتماعا في قلع الريح لهما وإهلاكها إياهما، وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة "⁵.

3- الوجه الثالث: إخراج ما لا يعلم بالبدية، إلى ما يُعلم بها، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ﴾⁶، " فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية،

¹ النكت، ص 82.

² سورة الحديد، الآية 20.

³ النكت، ص 84.

⁴ سورة القمر، الآية 19-20.

⁵ النكت، ص 83.

⁶ سورة الجمعة، الآية 5.

إلى ما يعلم بها، وقد اجتمعا في الجهل بما حملا، وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية"¹.

4- الوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة، إلى ماله قوة فيها، كقوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾²، " فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له، في الصفة إلى ما له قوة فيها، وقد اجتمعا في العظم، إلا أن الجبال أعظم، وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها"³.

هذه الأربعة هي أغراض التشبيه ذكرها من بعده وزادوا عليها، وممن ذكرها عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة، ولكن بعبارات قريبة، يقول الشيخ الجرجاني عن المعاني إذا جاءت بصيغة التشبيه أو التمثيل: " فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع

للألف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح... وإن كان ذماً كان مسه أوجع، وميسمه ألدع ووقعه أشد... وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب... وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر "⁴.

¹ النكت، ص 84.

² سورة الرحمن، الآية 24.

³ النكت، ص 84.

⁴ أسرار البلاغة، الجرجاني، ص 88 – 89.

ثم يقسم الرّماني التشبيه إلى وجهين¹:

1- تشبيه بلاغة: كتشبيه أعمال الكفار بالسراب

2- تشبيه حقيقة: نحو هذا الدينار كهذا الدينار.

قد مثل الرّماني في هذا الفصل بأمثلة كثيرة من تشبيهات القرآن ووقف عندها وقوف متأمل واستنبط منها نكتا في غاية الرقة، وأثبت أن تشبيهات القرآن الكريم، في أعلى درجات البلاغة ولا يدانيها شيء من تشبيهات العرب على كثرة ما فيها من حسن.

الباب الثالث: الاستعارة

يعرف الرّماني الاستعارة بأنها " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"². ومعنى كلام الرّماني أن الكلمة عُلّقت على غير ما وضعت له، أي جعلت مقابل معنى ليس هو الذي وضعت مقابله واستقرت دلالتها عليه.

¹ النكت، ص 81.

² النكت، ص 85.

وقريب من هذا التعريف قول الجرجاني: "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية"¹.

نستطيع أن نستنبط من تعريف الرّماني للاستعارة عدة اعتبارات:

1- الكلمة استعملت في غير ما وضعت له في أصل اللغة.

2- الاستعمال كان على جهة النقل، ويقصد الرّماني (المجاز).

3- الغرض من الاستعارة التوضيح والإبانة بصورة أبلغ.

من خلال هذه الأمور يظهر لنا معيار التفريق بين التشبيه والاستعارة عند الرّماني. ومعياره أن التشبيه يكون بأداة ملفوظة أو مفهومة (وهذا فيما سمي لاحقاً التشبيه البليغ) وهو على أصله (أي ليس فيه خروج في استعمال الكلمة عما وضعت له أصلاً) أما الاستعارة فهي استعمال الكلمة على غير ما وضعت له².

إذن الرّماني يفرق بين التشبيه والاستعارة بأكثر من وجه، منها الأداة. لكن ابن سنان اعترض على الرّماني في اعتبار الفرق بين التشبيه والاستعارة إنما يكون بالأداة فقط. يقول ابن سنان: "على أن الرّماني

¹ أسرار البلاغة، الجرجاني، ص 1 / 22.

² النكت، ص 85 - 86.

قال في كلامه: إن التشبيه في الكلام بأداة التشبيه... وليس يقع الفرق عندي بينهما بأداة التشبيه فقط"¹.

قلت: اعتراض ابن سنان لا وجه له لأن الرُّماني لم يقصر التفريق على الأداة فقط كما هو بين من عبارته.

بعد ذلك يذكر الرُّماني أن أركان الاستعارة هي:²

1-المستعار، ويقصد به (الكلمة) وهو يقابل المشبه به في التشبيه.

2-المستعار منه، ويقصد به المعنى الذي وضعت له الكلمة في أصل اللغة وهو المشبه به.

3-المستعار له، ويقصد به المعنى الذي استعملت فيه الكلمة وهو ما نسميه في التشبيه المشبه. وهذه الأركان التي بينها الرُّماني اعتمدها من جاء بعده.

والاستعارة البليغة عند الرُّماني " هي كل استعارة تُجمع فيها بين شيئين بمعنى مشترك بينهما، يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة بأداته الدالة عليه في اللغة"³.

¹ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 111.

² النكت، ص 86.

³ النكت، ص 86.

يفهم من كلام الرُّماني أن العلاقة بينهما في أن كلا منهما جمع بين شيئين مشتركين بمعنى، والفرق بينهما أن الاستعارة تكون بنقل الكلمة من معنى إلى آخر، أما التشبيه فالجمع بينهما بأداة دالة عليه في اللغة.

ويميز الرُّماني الاستعارة الحسنة بأنها تعطي بيانا أقوى مما تعطيه الحقيقة، وإلا كانت الحقيقة أولى لأنها هي الأصل¹.

قلت وفيما ذكره الرُّماني هنا خلاف بين العلماء مداره ما إذا كانت الحقيقة أبلغ أم الاستعارة؟ ورأي الرُّماني أن الاستعارة إذا أعطت بيانا أقوى من الحقيقة فهي أبلغ، وإلا فالحقيقة أبلغ لأنها الأصل، وهذا قول حسن وافقه عليه علماء البلاغة.

ثم يبين شرطا آخر للاستعارة وهو أن يكون لها حقيقة ولكن النقل يكسبها بيانا أقوى². ثم يشرع الرُّماني بعد ذلك ببيان أمثلة تطبيقية على الاستعارة وكلها من القرآن، وهذا مناسب للغرض الذي كتبت له هذه الرسالة وهو بيان إعجاز القرآن.

ومن هذه الأمثلة أنتقي مايلي:

¹ النكت، ص 86.

² النكت، ص 86.

قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾¹ حقيقته بَلَّغْ ما تؤمر به. والاستعارة أبلغ من الحقيقة. ومن هذا المثال وغيره يظهر لنا مذهب الرُّماني في أيهما أبلغ الحقيقة أم الاستعارة، ومذهبه كما بينا أن الاستعارة أبلغ إذا أدت بيانا أقوى.

يقول هنا للتمثيل على ما أصل له: "والاستعارة أبلغ من الحقيقة لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع. والمعنى الذي يجمعهما الإيصال إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج أبلغ"².

ثم يتنبه الرُّماني إلى أن من بلاغة الاستعارة الإيجاز ويمثل بقوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا

شَهيقاً وَهِيَ تَفُوزُ﴾³ فيقول: "حقيقته صوت كشهيق الباكي والاستعارة أبلغ منه وأوجز"⁴.

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾⁵ حقيقته الغليان والاستعارة أبلغ منه، لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوسة... وفي ذاك أعظم الزجر وأكثر الوعظ"⁶. وهو هنا يبيّن وجها آخر لتفضيل الاستعارة على الحقيقة، وهو مدى إدراكها وتأثيرها في النفس.

¹ سورة الحجر، الآية 94.

² النكت، ص 87.

³ سورة الملك، الآية 07.

⁴ النكت، ص 87.

⁵ سورة الملك، الآية 08.

⁶ النكت، ص 87.

وفي مواضع يشتهب فيها أسلوب الاستعارة بالمجاز يختار الرُّماني الاستعارة وقد يختار غيره المجاز فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾¹ يقول مبصرة هنا استعارة وحقيقتها مضيئة²، لكننا نجد الألوسي مثلاً يعدها من المجاز المرسل³.

ومن خلال الأمثلة نلاحظ أن الرُّماني لم يعرض إلى تقسيمات الاستعارة والتقسيم الذي استقر عليه الأمر حدث بعده.

الباب الرابع: التلاؤم

يعرف الرُّماني التلاؤم بأنه " تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر "⁴. قلت هذا لوجه والاثنان بعده وهما الفواصل والتجانس تتعلق بالأداء الصوتي، وتوضيح كلام الرُّماني أن مخارج حروف العربية مختلفة تبدأ من أقصاها بعداً إلى الداخل وهو الحلق، إلى أقربها إلى الخارج وهو الشفتين، فإذا كان الانتقال من حرف إلى الذي بعده سهلاً سلساً فإن هذا من التلاؤم.

في باب الإيجاز وجدنا الرُّماني يفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾⁵ وقولهم: "القتل أنفى للقتل" بأن الآية أبلغ من القول من وجوه ذكر منها سهولة الانتقال من الحرف إلى الذي يليه،

¹ سورة الإسراء، الآية 12.

² النكت، ص 88.

³ روح المعاني، للألوسي، ص 8 / 26.

⁴ النكت، ص 95.

⁵ سورة البقرة، الآية 179.

وهذا ما سماه هنا التلاؤم. أما إن كان في الانتقال صعوبة قد تؤدي إلى التلعثم فهو التنافر، ويضرب لذلك مثالا قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

" ويقول بعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض " ¹ ومعنى ذلك أن الرُّماني يربط بين قضية التلاؤم والإحساس، وهذا مما يتفاضل به الناس.

ويستشهد الرُّماني بما ذهب إليه الخليل بن أحمد من أن سبب التنافر البعد الشديد أو القرب الشديد بين مخارج الحروف، فإن كان البعد شديدا كان النطق صعبا كصعوبة القفر، وإن كان القرب شديدا كان النطق صعبا كصعوبة مشي المقيد ².

قلت وهذا ليس على إطلاقه انظر إلى التباعد والتقارب بين مخارج الحروف في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ³

¹ النكت، ص 95.

² النكت، ص 96.

³ سورة البقرة، الآية 245.

فالميم والنون والذال متقاربات جدا، والألف بعيد المخرج عنها ومع ذلك فإنك لا تحس بتنافر في الآية. وهذا يؤكد أن القضية مرتبطة بالإحساس كما نص على ذلك الرُّماني خلافا لما أطلقه الخليل بن أحمد. الذي أراه أن التنافر إنما ينتج عن الانتقال بين مخارج الحروف مما يؤدي إلى صعوبة في النطق.

ثم يقسم الرُّماني الكلام من هذه الجهة إلى ثلاثة أقسام:¹

1- متلائم من الطبقة العليا، وهو القرآن على سبيل الحصر.

2 - متلائم من الطبقة الوسطى، ويظهر في بعض كلام البلغاء.

3- متنافر، نحو البيت الذي مثل به الرُّماني فيما سبق.

وهذا تقسيم الخطابي نفسه لمستويات الكلام المتلائم²، وقد اعترض ابن سنان الخفاجي عليه وقال: إن الكلام قسمان: إما متلائم وإما متنافر، وهو بذلك يلغي القسم الثالث عند الرُّماني وهو التلاؤم من الطبقة العليا.

¹ النكت، ص 95.

² بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص 26.

يقول ابن سنان بعد ذكر قسمة الرُّماني: "وهذا الذي ذكره غير صحيح والقسمة فاسدة وذلك أن التأليف على ضربين متنافر ومتلائم، وقد يقع في المتلائم ما بعضه أشد تلاؤماً من بعض"¹. قلت: ولست مع ابن سنان فيما ذكر لسببين:

الأول: أن الخلاف شكلي، لأن ابن سنان يقسم الكلام إلى طبقتين، جعل من الأولى ما كان في أعلى مرتبة في التلاؤم، وهذا ما سماه الرماني الطبقة العليا، وعليه فإن الخلاف مشاحة في الاصطلاح لا أثر له في الواقع.

الثاني: أن ما دفع ابن سنان إلى هذا القول أنه ينكر أن يكون إعجاز القرآن ببلاغته ونظمه، ويقول إن من كلام الناس ما كان بمستوى بلاغة القرآن، وهذا قول مردود ومخالف للجمهور، أما الرُّماني فيعتبر إعجاز القرآن في وجوه منها بلاغته، لذلك اعتبر بلاغة القرآن لا مثيل لها، وجعلها في مرتبة خاصة هي الطبقة العليا لتلا تدخل في المقارنة مع كلام البشر.

أما فائدة التلاؤم فهي:²

1- حسن الكلام في السمع.

2- سهولة في اللفظ.

¹ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 91.

² النكت، ص 96.

3-تقبل النفس للمعنى؛ لما امتاز به اللفظ من حسن الصورة والدلالة.

ثم يضيف الرُّماني إلى هذه الميزات ميزة رابعة تجعل الكلام في أعلى طبقات البلاغة، فيقول: " فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات، ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام"¹.

وهنا نجد الرُّماني يشير إشارة صريحة إلى وجه إعجاز القرآن الكريم من جهة البلاغة فيقول (فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان) وهذا فيه إشارة صريحة إلى أن الإعجاز لا يكون بوجه من وجوه البلاغة العشرة وحده، ولا كذلك بوجه من وجوه الإعجاز التي عدّها وحده، بل في اجتماع هذه الوجوه البلاغية مع حسن البيان ومع غيرها مما ذكر من وجوه الإعجاز. وليس القصد بذلك أن كل ما وقع به التحدي حوى كل هذه الوجوه، بل القصد أن القرآن بالجملة حوى كل هذه الوجوه، فكان معجزاً بها جميعاً، وعندها قد تجد في آية أبعاضاً من ذلك وفي أخرى أبعاضاً أخرى وهكذا.

ويوضح هذه الإشارة فيقول: " وقد عمّ التحدي به للجميع لرفع الإشكال، وجاء على جهة الإخبار بأنه لا تقع المعارضة لأجل الإعجاز"².

¹ النكت، ص 96.

² النكت، ص 96 - 97.

ونص الرُّماني هذا صريح بأن المعارضة غير ممكنة بسبب العجز عنها، وهذا يجعل إيرادَه للصرفَة وجهًا من وجوه الإعجاز محل إشكال واضطراب، أو لعله قصد أن التحدي بالمعارضة كان لأكثر من سبب منها العجز، ومنها الصرفَة.

ذكر الرُّماني آيات التحدي¹، ثم قال: قامت الحجة على العربي والعجمي بعجز الجميع عن المعارضة إذ بذلك تبين المعجزة² وتوضيح كلامه أن العربي عجز عن المعارضة بسبب الإعجاز على الرغم من أنه صاحب اللغة، وهذا يدل على إن العجمي عاجز من باب أولى.

الباب الخامس: الفواصل

الفواصل مأخوذة في اللغة من مادة فصل يفصل، وهو "البون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل مثل ذلك: الحاجز بين الشيئين والفاصلة الخزرة التي تفصل الخزرتين في النظام وعقد مفصل أي جعل بين لؤلؤتين خزرة ومثله الفصل: القضاء

بين الحق والباطل وقريب منه فصل من الناحية: أي خرج منها والتفصيل هو التبيين"³، أمّا في اصطلاح العلماء والباحثين فإنه لم يُعَدَم أن يجدوا في القرآن الكريم مستندا للمصطلح، تبركا واحتجاجا به حين الاختلاف على تمييز مصطلحات القرآن قال ابن منظور: وقوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ

¹ النكت، ص 97.

² النكت، ص 97.

³ ينظر، مادة فصل في لسان العرب والقاموس المحيط المختار من صحاح اللغة.

عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ¹ له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني في «فصلناه» «بيناه»².

بحيث قال الرُّماني عن الفواصل في رسالته أنها: "حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"³، ليتضح لنا أن الفاصلة تقع في آخر الآية وهي تشاكل في الحروف والمقاطع ودورها في تحسين الكلام ودورها الفعال في استراحة الكلام وتوضيحها بالمقارنة مع السجع والقافية، بحيث هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، وهي توافق أواخر الآيات في حروف الروي أو الوزن"⁴، والفاصلة تقع "عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعاً فأما مناسبة فواصل فلقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁵، وأما تجنب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في الكلام آحاد

¹ سورة الأعراف، الآية 51.

² محمد السحناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 2000، ص25.

³ محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 89.

⁴ ينظر حسن نصار، فواصل إعجاز القرآن، مكتبة مصر، ط1، 1999، ص 193.

⁵ سورة فصلت، الآية 03.

الناس ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ثم فرقوا بينهما فقالوا السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها.

وذكر الزركشي أنه مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ به وقوفه على رؤوس الآي. وأن ما وقف عليه السلام عليه دائما تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما أو لتعريف الوقف التام أو للإستراحة والوصل أن يكون فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها¹، والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية، السجعة والمساواة.

وليست الفواصل أعم رؤوس الآية كما ذهب إلى ذلك أبو عمرو الداني لأن الفواصل في الاصطلاح، هي رؤوس الآي ولا عبرة بما يقع في داخل الآيات من وقفات يسمونها فواصل داخلية أو لغوية، « فالفاصلة لا تكون في سائر الآية كما أن القافية لا تكون في سائر البيت الشعري ولكن كلاهما في النهاية والختام»²، بحيث أن الفاصلة تقع في آخر الآية ويوقف عليها إذ بها يتم الإيقاع ويكتمل

¹ بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 20، 35، 36.

² عيد محمد شبايك، الفاصلة القرآنية، دار حراء، ص 27.

المعنى ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً، لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية أيضاً لأنها منه وخاصة في الاصطلاح وهذا ثابت بالنص الصريح، ومتى انتفى عنه الشعر انتفت القافية تبعاً لذلك.

تتفق الفواصل في الخصائص الآتية :

- موقف الفاصلة في آخر الآية.
- وجود التشاكل بين حروفها ومقاطعها.
- دورها في تحسين المعنى.
- دورها في الاستراحة في الخطاب.

بحيث إن الفواصل هي الكلمات التي تقع في نهاية الآيات وقد تتماثل في أواخر حروفها أو

تتقارب ويحسن الوقف عندها حيث يستدعيها السياق مبنى ومعنى لأن وجودها به ومن أجله وهي

تفصل بين معنيين إما فصلاً تاماً أو غير تام بمعنى أنه قد ينتهي المعنى عندها أولاً ينتهي¹.

¹ عيد محمد شبايك، الفاصلة القرآنية، دار حراء، ص28.

ويبين الرُّماني بعد ذلك مزية فواصل القرآن بأنها طريق إلى إفهام المعاني التي تحتاج إلى أفضل صورة دالة. أما السجع فليس إلا مشكلة صوتية لذا سمي سجعاً من سجع الحمام، الذي ليس فيه إلا المشكلة الصوتية¹.

بعد ذلك يذكر الرُّماني أن الفواصل نوعان:²

1- الحروف المتجانسة: نحو: ﴿والطور* وكتاب مسطور﴾³.

2- الحروف المتقاربة: نحو ﴿الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين﴾⁴.

ومزية بلاغة الفواصل المتقاربة أنها تزيد الكلام بياناً، بتمييز الفواصل والمقاطع ولما فيه من حسن العبارة. ثم يميّز الرُّماني بين القوافي والفواصل، بأن القوافي ليست في الطبقة العليا من البلاغة وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي⁵، والفرق بينها وبين الفواصل أن الفواصل يمكن أن تكون متقاربة وليست كذلك القوافي.

ويبين الرماني بعد ذلك أهمية الفواصل بما يلي:

¹ النكت، ص 98.

² النكت، ص 98.

³ سورة الطور، الآية 1-2.

⁴ سورة الفاتحة، الآية 3-4.

⁵ النكت، ص 98.

1- دلالتها على المقاطع.

2- تحسين الكلام بالتشاكل.

3- إبداءها في الآي بالنظائر، وتمييز رؤوس الآيات، وهذا يبين الوقوف ويساعد على فهم المعاني¹.

إذا، نستنتج أن الفاصلة هي عبارة عن ما يفصل بين كلمتين خاصة في الكلام بحيث أنها تساعد

على أخذ القليل من الراحة عند التكلم، أما في ما يخص الفاصلة القرآنية فهي تقع في آخر

الآيات وأيضاً في الشعر فهي تؤدي إلى الانسجام في حروف الروي والقافية والوزن وغيرها، وغرضها

يكن دائماً في تنظيم الكلام وتحسينه.

الباب السادس: التجانس

يعرف الرُّماني التجانس بأنه "بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة"².

قلت: وهو قريب مما يسمى عند علماء البديع بالجناس ولكنه أعم منه لأنه يشمل كذلك المشاكلة وهو

نوعان: ³

¹ النكت، ص 99.

² النكت، ص 99.

³ النكت، ص 99.

1- مزوجة ويضرب عليه مثالا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾¹ أي جازوه بما يستحق على طريق العدل إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد دلالة المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان. وهذا النوع غالبا يقع في الجزاء.

ثم يعقد الرماني مقارنة بدیعة بین تجانس القرآن وقول الناس (الجزاء بالجزاء)، فالأول لي

س بجزاء وإنما الغرض مزوجة الكلام - ثم يقول- وهذا حسن في البلاغة إلا أنه دون بلاغة القرآن الذي يضيف معنى العدل، بينما في القول الإشارة إلى الجزاء فقط. ثم إن قولهم قام على الاستعارة للأول بينما الاستعارة للثاني أولى من الاستعارة للأول، لأن الثاني يحتذى فيه على مثال الأول في الاستحقاق، فالأول بمنزلة الأصل، والثاني بمنزلة الفرع الذي يحتذى فيه على الأصل، لذلك كانت مزوجة القرآن أفضل من قولهم².

2- مناسبة: وهي تدور على فنون المعاني التي ترجع إلى أصل، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾³ فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر⁴.

¹ سورة البقرة، الآية 194.

² النكت، ص 100.

³ سورة التوبة، الآية 127.

⁴ النكت، ص 100.

الباب السابع: التصريف

يذكر الرُّماني أن معناه: "تصريف المعنى في المعاني المختلفة¹، كتصريفه في الدلالات المختلفة". وهذا التعريف الذي ذكره الرُّماني يشتمل على نوعين من التصريف:

أولهما: تصريف المعنى في المعاني المختلفة²، ولعل الرُّماني هنا يقصد ما ذكر النحويون في باب الاشتقاق من أن اللفظ يمكن أن يتركب بعدة طرق ليدل على عدة معان تعود إلى أصل واحد، أو هو ما يسمى بتصريف المباني. وتوضيح ذلك من خلال هذين المثالين: مادة مَلَكَ ومادة عرض، تصرف عن المادة الأولى عدة مبان منها مالك ملك وتمليك وتمالك ومملوك وكلها تدور

حول معنى الحياة، وتصرف عن المادة الثانية أعراض واعتراض واستعراض وعرض وعروض... وكلها تدور حول معنى الظهور

ثانيهما: تصريف المعنى في الدلالات المختلفة، ولعل مقصود الرُّماني هنا هو ما يعبر عنه بتقديم المعنى المراد بعدة عبارات، نحو القصة في القرآن تذكر أكثر من مرة بأكثر من عبارة، وكلها تخدم

المعنى وتثريه وتكمله من غير تكرار مغل. فقصة موسى مثلاً ذكرت عدة مرات بعبارات مختلفة كلها تخدم المعنى العام. ويبين الرُّماني بعد ذلك فائدة هذا الأسلوب في ثلاثة أمور هي³:

¹ النكت، ص 100.

² النكت، ص 101.

³ النكت، ص 102.

1-التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومعنى ذلك أن القرآن يقدم المعنى الواحد بعدة عبارات كلها في أعلى مراتب البلاغة.

2-تمكين العبرة، والموعظة وهذا يكون بالتكرار المفيد البليغ.

3-حل الشبهة في المعجزة.

وكلام الرُّماني هذا في غاية الدقة والأهمية وفيه رد لشبهة أثرت حول المعجزة هي أن معارضتها غير ممكنة، والرد على هذه الشبهة من خلال باب التصريف بنوعه الثاني، وتوضيح ذلك أن المعارضة إما ممكنة، وإما غير ممكنة، أما غير الممكن فيضرب له الرُّماني مثلاً: لو قيل ائت بجذر للعدد مائة غير العشرة فهذا غير ممكن، أما التحدي بالقرآن فهو ممكن بدليل أن القرآن نفسه قدم عدة معانٍ بعبارات مختلفة وكلها في أعلى رتب البلاغة، دل ذلك على أن معارضة هذه المعاني ممكن لصاحب هذا

القول وهو الله فإذا كان غير ممكن للخلق فهو معجز. يقول الرُّماني: " الله عز وجل يقدر أن يأتي بما شاء من مثل القرآن، فظهور الحجاج على الكفار بأن أتى في المعنى الواحد بالدلالات المختلفة فيما هو من البلاغة في أعلى طبقة"¹.

¹ النكت، ص 102.

الباب الثامن: التضمن

معناه حصول منى في الكلام من غير اسم له أو صفة¹. وهذه الدلالة كما يرى ابن عاشور "لا تتأتى في كلام العرب لقصر أغراضه في قصائدهم وخطبهم بخلاف القرآن، فإنه لما كان من قبيل التذكير والتلاوة سمحت أغراضه بالإطالة، وبتلك الإطالة تأتي تعدد مواقع الجمل والأغراض"². هذا مما ذكره الرماني وعده من وجوه الإعجاز فقال: معناه عنده حصول معنى في الكلام من غير اسم له أو صفة³.

قلت يبدو أن وجه البلاغة في التضمن إيراد معان مستفادة من اللفظ إضافة للمعنى الأصلي الذي وضعت له، وهذا يثري المعاني المستفادة من التركيب نفسه، وهو قسمان⁴:

1- ما يدل عليه دلالة الإخبار، كقولك السماء محدثة، فهذا يدل ضمنا على وجود المحدث وهذا القسم نوعان:

الأول: تضمين توجبه البنية، نحو الصفة بمعلوم توجب أنه لا بد من عالم.

¹ النكت، ص 102.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 1 / 108.

³ النكت، ص 102.

⁴ النكت، ص 102 - 103.

الثاني: تضمين يوجبه معنى العبارة وهو وجهان.

أ- يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به، نحو الصفة بقاتل تدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل، ولا مقتول هنالك.

ب- يوجبه معنى العبارة من جهة جريان العادة، نحو قولهم الثوب بعشرة والمقصود دنانير وقد حذف لفظ دنانير، وضمن الكلام معناه لجريان العادة به، وهذا معناه أن التضمنين إيجاز استغني به عن التفصيل لوجود الدلالة عليه.

2 - التضمنين الذي عليه دلالة القياس، وهذا النوع هو الذي جعله الرماني وجهاً من وجوه إعجاز القرآن حيث يقول: "فهو إيجاز في كلام الله خاصة"¹. لأن كلام الله تعالى لا يفوت وجهاً من وجوه الدلالة، فنصب العبارة على نحو ما يوجب أن يكون كل معنى صحيح محتملاً مراداً، وليس كذلك كلام الناس.

يقول الرماني: كل آية لا تخلو من تضمين لم يذكر باسم أو صفة"². ويمثل على ذلك بأن قوله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يتضمن عدة معان منها تعليم الاستفتاح بهما، والتبرك بها، وتعظيم الله

بها، وإقرار بالعبودية، واعتراف بالنعمة، ومعان أخرى محتملة وصحيحة وكلها مرادة.

¹ النكت، ص 103.

² النكت، ص 103.

ولعل هذا الذي ذكر الرماني ما سماه اللاحقون معاني المعاني أو المعاني الثانوية أو مستتبعات التراكيب.

الباب التاسع: المبالغة

المبالغة عند الرُّماني: "الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة"، والذي يقصده الرُّماني هنا تكبير المعنى في الذهن بتغيير اللفظ أو النظم عن أصله.

ثم ذكر الرُّماني وجوه المبالغة، وبمنظرة عامة نرى أن الأوجه التي ذكرها تندرج تحت أبواب مختلفة من أبواب النحو والبيان والبديع، وهذا شأن حديثه في الوجهين السابقين كما رأينا، ولعل هذه كانت محاولات أولية لتقسيم الأبواب ودلالة المصطلحات، الأمر الذي تطور حتى استقر إلى ما هو عليه الآن.

والأوجه التي ذكرها هي:¹

- 1 - المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة، وهذا الذي ذكره الرُّماني هو نفسه باب المبالغة في النحو، والذي يكون بتغيير بناء اللفظ إلى أبنية تعرف منها المبالغة، ومن أبنية المبالغة: فعلان نحو عطشان، وفعلون نحو أكلول، فالأولى معدولة عن فعل، والثانية معدولة عن فاعل.
- 2 - المبالغة في الصيغة العامة في موضع الخاص نحو خالق كل شيء.

¹ النكت، ص 104 - 106.

3- إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم والأكبر نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾¹ حيث ذكر في الآيات ما فيه تعظيم الله مثل اصطفاف الملائكة.

4- إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾².

5- إخراج الكلام مخرج المشكوك فيه نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾³.

6- حذف الأجوبة نحو حذف جواب لو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴ و الجواب المحذوف (لجاء الحق أو لعظم)، وما إلى ذلك

من الأجوبة المبالغ فيها مما تذهب إليه النفس.

كما ذكرت بالبداية وجدنا الرُّماني ذكر النوع الأول من باب النحو، والثاني من باب المجاز، والأخير

من باب مجاز الحذف الذي تحدث عنه الرُّماني في البداية.

الباب العاشر: البيان

يعرف الرُّماني البيان بأنه " الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك "5.

ومعنى كلام الرماني إيصال المعنى إلى الذهن بحيث يتميز الشيء عن غيره.

¹ سورة الفجر، الآية 22.

² سورة الأعراف، الآية 40.

³ سورة الزخرف، الآية 81.

⁴ سورة الأنعام، الآية 27.

⁵ النكت، ص 106.

وكلامه هنا يذكر بكلام له في تعريف البلاغة في أول الرسالة، حيث قال عن البلاغة: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" ¹. وعندها قال ليست البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يُفهم المعنى عيياً، وهذا يعني أن البيان إفهام المعنى، والبلاغة إفهام المعنى في أحسن صورة من اللفظ وعليه يستقيم جعله البيان قسيم البلاغة ويؤكد ذلك قوله: "وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن" ². يقصد أنه ليس كل كلام مفهوم المعنى بليغاً لأنه قد يكون عيياً فاسداً وإن أفهم المعنى.

لكن قوله بعد ذلك: "وليس بحسن أن يطلق اسم بيان على ما قبح من اللفظ من الكلام، لأن الله قد مدح البيان واعتد به حيث قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾" ³، ولكن إن قيد بما يدل على أنه يعني به إفهام المراد جاز ⁴.

وقوله هذا يجعل معنى البيان عنده مضطرباً ولا ندري أهو يقصد به الإفهام بالحسن من الكلام؟ وعندها يكون رديف البلاغة. أم هو مثل البلاغة في الإفهام، والفرق أن البلاغة إفهام بأحسن الكلام، بينما البيان إفهام بكلام حسن أقل رتبة. أم يقصد أن البيان مجرد الإفهام سواء كان بكلام حسن أو دون ذلك، وعندها لا وجه لقوله وليس بحسن أن يطلق اسم بيان على ما قبح من اللفظ والذي أرجحه أنه قصد أن الكلام على ثلاثة مراتب: أولها: الإفهام بأحسن لفظ وهو البلاغة.

ثانيها: الإفهام بلفظ حسن وهو البيان.

ثالثها: الإفهام بلفظ قبيح وهذا ليس بلاغة ولا بيانا.

¹ النكت، ص 75.

² النكت، ص 106.

³ سورة الرحمن، الآية 3-4.

⁴ النكت، ص 106.

قسم الرُّماني البيان إلى أربعة أقسام¹: كلام وحال وإشارة وعلامة، وقد سبق الرُّماني في تقسيمه هذا للبيان الجاحظ لكنه قسمها على وجه آخر، فذكر أن جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: " أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الكلام"².

في هذا السياق قسم الرُّماني الكلام إلى قسمين: البيان على ما عرّفه، وضدّه الكلام الذي لا يظهر به تميز الشيء وهذا ليس بياناً³. ثم يقسم الرُّماني البيان إلى مراتب⁴: أعلاها ما جمع أسباب الحسن في العبارة، ولعل هذا المستوى من البيان عند الرُّماني هو ما أطلق عليه في الأول البلاغة بما جمعت من الوجوه العشرة.

ثم يبين الكلام الذي يكون به البيان وهو. إما بالاسم نحو قولك زيد، أو بالصفة نحو قولك مفهوم، وبالتأليف نحو قولك غلام زيد، ومثل دلالة التأليف دلالة الاشتقاق نحو قولك قاتل تدل على قتل ومقتول من غير ذكر اسم أو صفة، ولكن المعنى مضمن بالصفة المشتقة، ودلالة الأسماء والصفات متناهية أما دلالة التأليف فليست متناهية⁵. ولأن دلالة التأليف ليست لها نهاية كان التحدي فيها بالمعارضة لتظهر الإعجاز⁶.

الرُّماني هناك يعرض إلى وجه الإعجاز في بلاغة القرآن بشكل مباشر فالإعجاز عنده بالبلاغة وهي عدة وجوه منها البيان وقد وقع التحدي بالتأليف منه لأن طرائق التأليف

¹ النكت، ص 106.

² الجاحظ، البيان والتبيين، ط 1، ج 1، 1397 هـ - 1948 م، مطبعة اللجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 55 ص.

³ النكت، ص 106.

⁴ النكت، ص 107.

⁵ النكت، ص 107.

⁶ النكت، ص 107.

ليست متناهية، وقد بلغ القرآن نهاية الحسن في البيان فلا سبيل لمعارضته. ثم ذكر الرماني أمثلة على حسن بيان القرآن.

هذه البلاغة عند الرُّماني وهذه وجوها وقد أخذت جزءا كبيرا من رسالته وتحدث عنها أول شيء على الرغم من أنه ذكرها في الوجه الرابع وهذا يدل على أنها الوجه الأهم في الإعجاز عنده.

خَاتَمَة

خَاتَمَةٌ

في الأخير من أمثل ما جاء في الحث على تعلّم البيان وصيّة أعرابي لبعض بنيه، إذ قال: "يابني أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه دابته وثوبه، ولا يجد من يُعيّره لسانه" ولو قرأنا القرآن الكريم وتدبرناه - حق التدبّر -؛ لما رأينا ضعف بيانٍ أو رصانة، ولنلنا منه لذة في صياغة حروفه وبحر معانيه!

فضالة الذخيرة اللغوية، وقلة القراءة في البيان العربي القديم، والقرآن الكريم وترك تدارسه والعكوف عليه، وراء ضعف البيان والتعبير في هذا العصر؛ فلا تجد في جل مكتوباته قوة في الصياغة، ولا شفيعة من رصانة!

ختاماً تمكنت من رصد خلاصة من النتائج:

- يعد أبو الحسن الرماني من العلماء الذين اهتموا ببيان إعجاز القرآن الكريم، من خلال بلاغته وقوة نظمه وتلاؤم حروفه وكلماته.
- تعتبر رسالته وغم صغر حجمها، تقعيدها وتأصيلا لعلم البلاغة، وهذا ما تشهد له المؤلفات التي اخذت منه وانتقدته ومنهم: ابن سنان الخفاجي، والخطابي.
- البلاغة من الناحية المصطلحية قادرة تكوين أسلوب يتناسب مع أفكار المبدع وتخيلاته، فيحاول

هذا الأسلوب التأثير في المتلقي من خلال نقل أحاسيس المبدع ومقاصده، وهذا لا يتحقق إلا من خلال ألفاظ متناسقة مع معاني واضحة، بالإضافة إلى شرط مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

- قدم العديد من العلماء مثل الجاحظ وابن المعتز والمبرد دراسات مهمة ساهمت في تطوير علوم

البلاغة وتحديد قواعدها.

- أجمع كل الدارسين على أن الإعجاز هو ما كان فوق طاقة البشر أي أمر خارق للقوانين

البشرية.

- قسم الرُّماني البلاغة إلى عشرة أقسام، وقد كان منهجه في ذلك أن يذكر المصطلح ثم يستدل

على وجه المعجز فيه من القرآن الكريم.

- للرُّماني فضل كبير في الدراسات التي تلت القرن الرابع الهجري، وقد أضحت رسالته رسالة مهمة

في بحوث الإعجاز وبلاغة القرآن.

مَكْتَبَةُ الْبَحْثِ

1. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ط5، 1437هـ، دار الإمام ورش.

الكتب القديمة:

1. ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، بيروت، 1982.

2. ابن تيمية، النبوات، ط1، مكتبة أضواء السلف.

3. ابن فارس، مقاييس اللغة، م1، دار الجيل، بيروت.

4. ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان

5. ابن منظور، لسان العرب، ط3، 1999م، بيروت.

6. أبو الحسن الرُّماني، كتاب النكت في إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز

القرآن الكريم، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام.

7. أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجتز القرآن، تح محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

8. أبي الحسن الرُّماني، الجامع لعلم القرآن، دار الكتب العلمية.

9. أبي الحسن الرُّماني، النكت في إعجاز القرآن.

10. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ط2، دار الفكر العربي، 395 هـ.

11. الجاحظ، البيان والتبيين، ط1، ج1، 1397 هـ - 1948 م، مطبعة اللجنة التأليف والترجمة

والنشر، القاهرة.

12. الجاحظ، الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية.
13. الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت.
14. الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 1900.
15. الحربي، البلاغة الميسرة، ط2، 2011 م، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
16. الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ط1، 2003 م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
17. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، ج4، دار العلم للملايين، لبنان.
18. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
19. الزُّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، ج2.
20. ابن سنان، سر الفصاحة، ص 203، وكذلك 214. وانظر كذلك المثل السائر لابن الأثير.
21. السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.
22. السيوطي، طبقات المفسرين، 2010م، دار النوادر، الكويت.
23. الطبري، جامع البيان، ج10، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة-مصر.
24. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط3، مطبعة المدني، القاهرة
25. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، ط3.
26. الفيومي، المصباح المنير، مادة (ثبط) ج2.

27. القزويني، الإيضاح، ط3، دار الجيل، بيروت.

28. الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت.

29. المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، ج3، 1502.

30. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج15، مطبعة حكومة الكويت.

31. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، عالم الكتب، القاهرة-مصر.

الكتب الحديثة:

1. احمد المراغي، تاريخ علوم البلاغة، ط1، 1950م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

2. أحمد درويش، البلاغة القرآنية، ط1، 2010م.

3. احمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج4، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.

4. انعام فؤال العكاري، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

5. برند شبلر، علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة أسلوب البلاغة وعلم للغة النص، دط، دت.

6. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة

7. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

8. عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ط2، 2010م، دار القدس العربي الجزائر.

9. عبده طلبه محمد، الدهشان محمد رزق، المرشد في علوم البلاغة، ط 2، مصر.

10. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وافنائها، دار الفرقان.

11. محمد احمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-

لبنان، 2003 م.

12. محمد خل الله، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، دار

المعارف مصر، ط 3.

13. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط3، دار القلم، دمشق.

فَهِرِئْسَت

الفهرست

الإهداء

الشكر والعرفان

مقدمة ب

المدخل: نظرية البلاغة

مفهوم البلاغة: 9

التعريفات الاصطلاحية للبلاغة: 120

المسار التاريخي للنظرية البلاغية عند العرب: 14

الفصل الأول: البحوث البلاغية

مفهوم الإعجاز في القرآن 28

نشأة الإعجاز في القرآن 35

البحوث البلاغية قبل الرُّماني 39

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي

لمحة عن سيرة الرُّماني 53

مضامين رسالة " النكت في إعجاز القرآن " 55

خاتمة 97

مكتبة البحث

الْخُلَاصَةُ

خلاصة

من العلماء الذين برعوا في اللغة والبلاغة الرُّماني كتب في إعجاز القرآن الكريم لكنه لم يكتب

كتاباً وافياً مستقلاً، وما وصلنا من نظريته في إعجاز القرآن الكريم رسالة تسمى: النكت في إعجاز القرآن الكريم تحدث فيها عن إعجاز القرآن الكريم من خلال بيان نكت البيان في القرآن بمعنى بيان اللطائف والأسرار الخفية التي تدرك بالفطنة وحسن التأمل، ورسالته هذه نموذج لنظرية الإعجاز عند المعتزلة فهو من شيوخ المعتزلة وعلمائها الصناديد، وعنه أخذ كثير ممن لحقه من العلماء والتلاميذ، في تعريف البلاغة والبيان وطبقات البلاغة وأقسام البلاغة.

ذكر الرُّماني سبعة وجوه لإعجاز القرآن الكريم هي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة

الحاجة، والتحدي للكافة والصرف، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض

العادة، وقياسه بكل معجزة ثم شرع في بيان الوجه الرابع وهو البلاغة، واستغرق معظم رسالته في ذلك، ثم عاد في صفحاتها الأخيرة إلى بيان باقي الوجوه بإيجاز، غير أن الوجه الرئيس الذي اعتمده الرُّماني هو البلاغة، وهذا ظاهر في استطراده في إثباته ومناقشته والتمثيل عليه، وهو واسطة عقد الرسالة، أو قل هو الرسالة والرسالة هو، وغيره ليس بشيء.

مما تحمد به رسالة الرُّماني في الإعجاز، أنه أصَّل للإعجاز البلاغي تأصيلاً فريداً يكاد يكون نواة التأليف في هذا المضمار، وأورد اعتراضات قد ترد على الإعجاز القرآني وردّها ببراعة فائقة وبأدلة حبكت وأحكمت شكلاً ومضموناً.

يؤخذ على الرُّماني أنه اعتمد ثلاثة أوجه للإعجاز هي في الواقع ليست من جوه الإعجاز عند جُلِّ العلماء أو كلهم فيما اطلعت، وإن كان ما يتعلق بها من إعجاز إنما يرجع إلى وجه البلاغة وهذه الوجوه هي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، ونقض العادة، كما أنه ذكر القياس بكل معجزة وهذا كذلك لا يصلح أن يكون وجهاً للإعجاز.

وعليه يبقى من وجوه الإعجاز المعتمدة عن الرُّماني ثلاثة هي: البلاغة، والإخبار الصادق عن المستقبل والصرفة. أما القول بالصرفة فمردود، وبذا لا يبقى عندنا مما اعتمده إلا وجهان فقط.

Abstract

Among the scholars who excelled in language and rhetoric Al Rumani wrote about the miracle of the Holy Qur'an, but he did not write a comprehensive, independent book. What has reached us of his theory of the miracle of the Holy Qur'an is a epistle called "Jokes on the Miracle of the Holy Qur'an," in which he spoke about the miracle of the Holy Qur'an by explaining the jokes of rhetoric in the Qur'an, meaning explaining subtleties and hidden secrets that are understood with insight and good contemplation. This epistle of his is a model of the theory of the miracle of the Mu'tazila, as he was one of the sheikhs and prominent scholars of the Mu'tazila, and many of the scholars and students who came after him took from him in defining rhetoric and eloquence, the levels of rhetoric, and the divisions of rhetoric, as I will explain in the research

Al-Rumani mentioned seven aspects of the miraculous nature of the Holy Qur'an: leaving out opposition when there are reasons and a strong need, challenging everyone and everything, eloquence, truthful news of future matters, contradicting custom, and comparing it to every miracle. He then began explaining the fourth aspect, eloquence, and took up most of his treatise on it. Then, in its final pages, he returned to briefly explaining the remaining aspects. However, the main aspect that Al-Rumani relied on was eloquence, and this is evident in his digressions in proving, discussing, and providing examples. It is the link that

connects the treatise, or rather, it is the message and the message is it, and anything else is nothing.

One of the things that Al-Rumani's treatise on the miraculous nature of the Qur'an is to be commended for is that it provides a unique foundation for the rhetorical miraculous nature, almost the core of any work in this field. He cited objections that might be raised against the miraculous nature of the Qur'an and responded to them with outstanding skill and with well-crafted evidence, both in form and content

Al-Rumani is criticized for relying on three aspects of the miraculous, which are not, in fact, aspects of the miraculous according to most or all scholars, as far as I have seen. However, the miraculous nature of them relates to the aspect of eloquence. These aspects are: leaving out opposition when there are motives and a great need, challenging everyone, and breaking custom. He also mentioned analogy with every miracle, and this, too, is not suitable to be an aspect of the miraculous.

Accordingly, three aspects of the miraculous nature relied upon by Al-Rummani remain: eloquence, truthful information about the future, and diversion. As for the view of diversion, it is rejected. Thus, we have only two aspects left of what he relied upon.